obeikandl.com

حرير وحراشف

- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز إلى تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة فى ما يصدر عن المركز تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

◆ ◆ ◆

رئيس المركز

على عبد الحميد

◆ ◆ ◆

مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

obeikandl.com

السعيد صالح

حرير وحراشف

رواية

obeikandl.com

الكتـــاب: حرير وحرافش
رواية

المؤلف: السعيد صالح

النـــاشر: مركـــز الحضـارة العربيـة

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٢

الجمع والصف الإلكترونى: وحدة الحاسوب بالمركز

تصميم وجرافيك: محمد النوبى
011 11 83 503

رقم الإيداع: ٢٠١٢/١١٢٠٣

الترقيم الدولي: 978-977-496-112-5

صالح، السعيد.

حرير وحراشف: صالح السعيد. ط١. _ الجيزة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠١٢.

١٧٦ص؛ ١٤ سم.

تدمك: ٥ _ ١١٢ _ ٤٩٦ _ ٩٧٧ _ ٩٧٨

أ_ العنوان

٨١٣

obeikandl.com

من عشق فعف، وكتم فمات، مات شهيدًا

(حديث)

الغربة كُربة

إن الشهوات أقوى من الإرادات فهى التى
خلقت الدنيا ولاتزال تحملها

أناتول فرانس

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

آدمز مورجان من أقدم أحياء العاصمة واشنطن دى سى، شأن المدرستين الابتدائيتين اللتين استمد منهما اسمه، واللتين كانتا رمزًا لهذه المنطقة . توماس ب مورجان المخصصة للطلاب السود وجون كوينسى آدمز للطلاب البيض . تاريخ طويل من الصراع والتفرقة العنصرية بل ومن الهجرة . فمنذ عام ١٩٦٠ وأصبح آدمز مورجان بوابة للمهاجرين من شتى بقاع العالم وخاصة من أمريكا الوسطى وأفريقيا، حتى صار الحى فى أيامنا المعاصرة بقعة مزدهرة بألوان الطيف الأنسانى تبدأ عند تقاطع الشارع الثامن عشر شمال غرب وطريق كولومبيا، على بعد ميلين من البيت الأبيض . أصبح الحى منافسًا لأشهر الأحياء بالعاصمة مثل دوبونت سيركل وجورج تاون من حيث الشعبية.

نهاره بمثابة معرض للفنون الحياتية والمهرجانات متعددة الأعراق بمبانيه ذات الألوان الزاهية المعتمدة فى بنائها على عمارة القرنين التاسع عشر والعشرين.

أما ليله فذو أجواء صاخبة لا تخبو ملاهيه وحاناته الممتدة على طوال شوارعه، تحيل الليل سرمديًا لا ينتهى عبر العديد من الخيارات التى تحقق المتعة والمرح لروادها.

فى ليلة هادئة نسبيًا، لوقوعها فى بداية الأسبوع، تقف سيارة ستريتش فارهة فى أحد شوارعه الخلفية ذات الإضاءة الخافتة

ـ آه كم أشعر بالإجهاد، هل تجيد المساج؟

أثلج صدره سماع هذه الجملة، فهى الدعوة الرسمية لممارسة الحب، قال فى حماس:

ـ إننى دارس له.

ـ عظيم، إذن هلى يمكنك أن تريحنى من معاناتى؟

ـ بكل سرور.

قالها وقام مسرعًا منتقلاً للخلف، خلع سترته، جثا على ركبتيه فى مقابلها، تحسس رقبتها برفق، بدأ يمسدها ببطء، نزل بكفيه إلى ظهرها، إقترب إلى نهايته، لم تمانع عند ملامسته أردافها، شعر بحبيبات رغبتها تنتشر فى أرجاء جسدها عندها قالها بثقة:

ـ هل تريدين ممارسة الحب؟

بدون تردد قالت:

ـ لا مانع.

استدارت، رفعت ثوبها أعلى فخذيها، خلعت سروالها الداخلى، خلصته من احدى قدميها وتركته معلقًا بالقدم الأخرى، فى لحظات خلع بنطاله، وامتطاها متذوقًا صنفًا جديدًا من النساء لم يجربه من قبل.

*****

فى غضون ساعتين كان نديم يركن سيارته الخاصة أمام بيته الكائن فى إحدى ضواحى فرجينيا، يقبع منزله على الطريق العام يقابله غابة كثيفة الأشجار، أقرب جار له على بعد خمسين مترًا، المنزل من طابق واحد يتكون من خمس حجرات وبهو واسع بالإضافة إلى حديقة خلفية لا بأس بمساحتها.

والخطو النادر، يجلس قائدها نديم الشاعر بداخلها منتظرًا زبائنه نظر فى ساعته، مضى على دخولهم قرابة الساعة، أخذ يبحث فى درج السيارة، أخرج معطرًا للفم، أطلق عدة دفقات داخل فمه نظر فى المرآه، مازالت قسمات وجهه تحتفظ برونقها رغم تخطيه الخامسة والأربعين، مسح شعره بيده استعدل رابطة عنقه، ثبت عينيه على الباب الخلفى للملهى، مترقبًا خروج إحدى زبائنه، تلك الصهباء التى رمقته بنظرات شهوانية، إنه يعلم أنها ستأتى، خبرته فى هذه المهنة تؤكد حدسه، ففى العادة عندما يعرف أن زبائنه من النساء يتولد لديه يقين بأنه سيتذوق طعم إحداهن، فغالبًا ما تكون بينهن من تبحث عن سد رمق شهوتها بممارسة الحب العابر أو من تعانى فراق الحبيب أو هجر الزوج فتبحث عمن يهدىء لاعج شوقها.

رمق إحداهن تخرج من باب الملهى، دقق النظر، ابتسم لصدق حدسه، إنها هى بقوامها الممتلىء المتراقص داخل الثوب القصير الضيق، اقتربت منه، ترجل من السيارة لملاقاتها، بادرته بابتسامه قائلة:

ـ لقد تعبت من الضجيج، هلى يمكننى أن أستريح داخل السيارة؟

ـ بالطبع.

ـ أسرع فاتحًا باب السيارة الخلفى، تمددت على المقعد، وبصوت غانج:

ـ هل يمكنك أن تسمعنى بعض الموسيقى الهادئة؟

ـ بالتأكيد.

انساب صوت المذياع باعثًا نغمات البيانو لتضفى على السيارة جوًا شاعريًا

استطاع نديم شراءه بعدما التحق بوظيفة ثابتة كمحرر بمجلة Art التابعة للمتحف الوطنى للفنون وهى مجلة غير دورية تهتم بشتى ألوان الابداع الفنى . هذا بجانب عمله فى العطلات كسائق فى شركة ليموزين لمجابهة التزاماته . أدار المفتاح فى الباب، استقبلته زوجته بادرها مبتسمًا :

ـ علا حبيبتى .

يحتضنها ، طابعًا قبلة على شفتيها مسترسلاً :

ـ وحشتينى جدًا .. أين الأولاد؟

ـ ناموا طبعًا ، الوقت متأخر.

تنظر له مليًا وبصوت ساخر:

ـ ماذا بك ؟ كأنك كنت تعدو داخل السيارة!!

بدا عليه بعض الاضطراب، نظر إلى هندامه مجيبًا :

ـ لِمَ تقولين ذلك؟

ـ شكلك مرهق جدًا !!

ـ آه سنبدأ موال الشك.

ـ أبدًا يا حبيبى أنا فقط أريد أن أطمئن عليك.

ـ تصورى فقط خمس ساعات من القيادة والانتظار القاتل لأناس تافهين، ماذا يفعلون بك ؟

ـ هل أعد لك شيئا تأكله ؟

ـ لا لقد تناولت شطيرة بالخارج، سآخذ دشًا وأنام.

تقف تتابعه بنظرات تملؤها الريبة ...

"أتعجب من تعلقه بهذه المهنة دون غيرها ، فلقد عُرضْتْ عليه

أُخريات، أيسر جهدًا وأكثر دخلاً، لكنه فضل هذه قائلاً بأنها تثريه بتعرفه على أنماط مختلفة من البشر، وتتيح له ممارسة هواياته من القراءة وسماع الموسيقى، لكنى فى قرارة نفسى أعلم جيدًا أن هذه المهنة هى الباب السحرى لإقامة العلاقات النسائية العابرة وأنا أعرف جيدًا مدى تعلق زوجى بالنساء وولعه بهن، وها هو اليوم يأتى تفوح منه رائحتهن"

*****

يبدأ يوم نديم فى السادسة صباحًا، عندما يزقزق عصفوره الحديدى الراقد على الكومود المجاور لسريره عندها يقفز مسرعًا إلى الحمام ليغتسل، ثم يرتدى ملابسه على عجل، يعرج إلى المطبخ لإحضار شطيرتيه اللتين تعدهما علا ليفطر بهما فى عمله.

فى تمام السادسة والنصف يجلس خلف مقود سيارته الهوندا ذات الطراز العتيق، ينطلق بها على الطريق السريع لمدة ثلاثين دقيقة حتى يصل إلى park and Ride وهو مكان مخصص للموظفين المقيمين فى ضواحى المدينة بعيدًا عن وسطها حيث أعمالهم فيركنون سياراتهم فيها بدلا من جراجات وسط المدينة باهظة التكلفة، ويستقلون Bus Connector وهى حافلة تصلهم إلى محطة مترو الأنفاق خلال عشرين دقيقة، يركب نديم المترو لمدة خمسة وأربعين دقيقة إضافية حتى يصل إلى عمله.

يمد يده إلى جهاز Mp3 بالسيارة ليصدح صوت إيمان البحر درويش بأغنيته المفضلة مرددًا معه مقطعًا منها

"إيدى واحدة وأنت إيدك برضه واحدة .. مدى إيدك ويا إيدى .. امسحى دمعة وليدى .. عايز أصرخلك وعاجز .. أسمعك أو تسمعينى ..

نفسى أقولك ألف حاجة بس آه لو تفهمينى"

نفس الأغنية كان صداها ينبعث من سيارة مارة بجانبى وأنا فى طريقى إلى السفارة الأمريكية وفى يدى خطابهم بأننى أحد الذين ربحوا اللوتارية التىَ مَنَّ علينا بها بيل كلينتون بمناسبة دخوله البيت الأبيض ببساطة أصبحت أحد مواطنى أرض الأحلام.

نفس الأغنية كنت دائمًا أرددها عند خروجى من مقابلات العمل المحبطة الرافضة لمؤهلاتى (ليسانس آداب قسم لاتينى تقدير عام جيد جدًا مع إجادة تامة للإنجليزية واستخدام الحاسوب) خمس سنوات قضيتها فى البحث عن فرصة للعمل تناسب مؤهلاتى، لكنى أيقنت أخيرًا أننى أفتقر إلى مصوغ العمل الحقيقى المتداول فى مصر ألا وهو الواسطة وبلفظتها الدارجة الكوسة . قول يا إيمان قول.

"شىء غريب حسيته لما كنت مرة بتحضنينى .. يا بلدنا يا بلد هو من امتى الولد بيخاف من أمه لما فى الضلمة تضمه .. صدقينى خفت منك خفت منك صدقينى"

فى عام ونصف فقدت حضن الأم، وسند الأب، ذابا حزنًا على أخى الدكتور حمدى عندما رفض أن يستيقظ مؤثرا صحبة ملاك الموت، وجدت نفسى وحيدًا بلا آمال ولا مال.

لا أعرف حتى الآن ما فعله معى الحاج حسنين صاحب العمارة، هل يوصف بالمعروف أم بالاستغلال عندما منحنى مبلغًا لا يستهان به للتنازل عن شقة العائلة، أتاح لى هذا المبلغ أن أتهيأ لرحلة اللاعودة لأرض الأحلام، بل دعمنى هناك لشهور وجعلنى أتخير ما يلائمنى من أعمال مثل Cashier فى محل بيتزا، بائع فى محل ورود، تعودت ألا أعمل أكثر من ثمانى ساعات أما باقى اليوم فهو للتمتع بطبيعة البلاد

وسحر تضاريس الفتيات.

فى تمام الساعة الثامنة وخمس دقائق صباحًا يصل نديم إلى مقر عمله لوقوع محطة المترو بجوار عمله عند تقاطع شارعى F مع رقم عشرة، المبنى يرجع إنشاؤه إلى القرن الثامن عشر ويحتوى على عدة مؤسسات وهيئات حكومية، كما يحتوى أسفله على عدة محال شهيرة مثل H & M لملابس الشباب Century ٢١ للملابس الحريمى. يصل نديم لطابق مجلته، يفتح باب المصعد.

"كم أحب هذا المبنى بجدرانه العتيقة، وردهاته الواسعة أشتم فيه عبق التاريخ و رائحة القرنفل، التى يحبها خوسيه جونزاليس، هذا الرجل، قصير القامة، أصلع الرأس بغليونه الذى لا يفارق فمه طوال اليوم، عند رؤيته أتذكر أخى الأكبر رحمه الله".

ـ صباح الخير خوسيه.

خوسيه فى بداية الخمسينات، بلده الأم نيكاراجوا، رئيس تحرير المجلة، ذو عقل مستنير وقلب طيب لم يتردد لحظة فى قبولى ضمن فريق التحرير عندما رشحنى له صديقنا المشترك جان حداد.

صاح عند رؤيته لى:

ـ كيف حالك نديم ؟

ـ بخير وها أنا أنتظر ما تكلفنى به للعدد التذكارى.

ستعرف فى اجتماع التحرير غدًا .. اذهب الأن إلى مكتبك واتركنى أنهى الإعداد لهذا الاجتماع قالها ونفث سحابة من الدخان اختفى وجهه داخلها.

*****

إنتفت حدود مدينة واشنطن باحيائها مع مقاطعة كولومبيا

ليشكلا العاصمه ويكتبا متلازَميْن Washington D.C واشنطن نسبة لأول رئيس للولايات جورج واشنطن أما D.Cفهو اختصار District of Coulombia أى مقاطعة كولومبيا التى اشتق اسمها من كريستوفر كولومبس، واقتطعت من ولايتى فرجينيا وميريلاند، وتقع عند التقاء نهرى بوتوماك وأنا كوستا وتحتوى المقاطعة على المؤسسات الفيدراليه التى تحكم الاتحاد لذا فهى تحت سيطرة الحكومة الفيدراليه وليست تحت حكم أى من الولايات .

من أشهر معالم العاصمة، الكابيتول هيل Capitol Hill وهو حى برع المهندس بييرشارلز ليفانت مبدع العاصمة فى تصميمه واختار قمته لكى يقيم عليها مبنى الكابيتول (بيت الكونجرس) كأنها قاعدة خاوية كانت فى انتظار نصبها ليزينها، وأمامه فرشت مساحة مشجرة فى نهايتها تقف شامخة مسلة كليوباترا التى اهدتها الحكومة المصرية للولايات المتحدة عام ١٨٨٠، وهى أعلى من أى مسله فى مصر حيث يصل إرتفاعها إلى ٥٥٥ قدمًا . ويحيط بمبنى الكابيتول مبانى المحكمة العليا، مكتبة الكونجرس والأنصبة التذكارية للرؤساء الراحلين أمثال إبراهام لينكولن وجون كينيدى يشع من كافة المبانى نورانية الهندسة النيوكلاسيكية المتشربة بالمعمار الرومانى، حيث زخرفت بصور آلهة الأوليمب مثل أبولو وفينوس وجوبتر فيحيلك المنظر إلى مدينة روما القديمة ولهذا فى البداية أطلق الأوائل على عاصمتهم اسم روما . وفى عام ١٩٧٦ أدرجت المنطقة بأكملها ضمن المناطق التاريخية للبلاد.

يقبع الكابيتول هيل خلف مبنى الكابيتول من ناحية الشمال الشرقى للعاصمة، وهو أقدم الأحياء السكنية فيها وأكثرها اكتظاظًا بالسكان، أغلب بيوته متلاصقة وهناك بعض القصور

والفيلات المتناثرة فى أرجائه تعكس حقبات تاريخية مختلفة وتصاميم عمارة متباينة.

فى أحد شوارعه الراقية، تقبع إحدى الفيلات على طراز معمار الملكة آن، يرجع إنشاؤها إلى القرن التاسع عشر، يحيطها حديقة مشجرة، فى إحدى غرف نومها تقف د.جيسيكا هوفمان عالمة الآثار بالمتحف الوطنى للفنون، تنزع ثيابها فى عجالة، تدخل الحمام لأخذ دش ساخن، تخرج ملتفة بإحدى المناشف، تسقطها لتقف عارية أمام المرآة بقوامها الممشوق المثير بتدويراته الرائعة، تمسح بيدها وجهها ذا الجمال الأخاذ، عينان زرقاوان، شفتان ورديتان، نهدان فرنسيان يقفان فى شموخ. بدأت تكسو جسدها بكريم ينبعث منه رائحة الخوخ، ترتدى قميص نوم قصير أسود اللون يبرز مفاتنها، تطلق عدة دفقات من عطرها وراء أذنيها وبين نهديها.

تشعر بحركة خفيفة خلفها، تلتف، تجده أمامها، بقوامه الرياضى ووجهه الباسم، عندما تراه يغمرها هبة حب مشتعل، يقوم باحتضانها، يشم رحيق شعرها، يدفن وجهه بين نهديها، يطرحها على الفراش، تعربد يداه فى تفاصيل جسدها، ينفذ لها أوضاعها المحببة، بعد فترة، استكانت حركة السرير، هدأت الأنفاس المتلاحقة، ضربات القلب المتسارعة، ارتجافة الأجساد التى انفصلت فى تراخى، استدار فى مواجهتها:

ـ وحشتينى جدًا جيسى أسبوعان لم أرك.

ابتسمت له مداعبة:

ـ ألم تشبعك زوجتك هذه الفترة؟

ـ جيسى أنت لا يعوضك أحد.

ـ أنت كاذب كبير.

ـ هل كانت رحلتك موفقة إلى نيويورك؟

ـ لقد أنقذنا إحدى لوحات شاعرك المفضل خليل جبران من التلف.

ـ أى واحدة.

ـ إنها لوحة الخريف، هل تعلم ماذا كتب بأسفلها لعشيقته الأمريكية مارى هاسكل؟

تنظر فى عينيه قائلةً:

"من الآن وصاعدًا ستحمل جميع لوحاتى أحرف اسمك الأولى داخل دائرة ليرى الناس رمزًا للخير والحب والإيمان الحقيقى"

ـ أليس هذا جميلاً نديم، ألا يسترعى انتباهك أنها أمريكية وهو شرقى، نفس حالنا أليس مصادفة جديرة بالملاحظة.

ـ لكن جبران كان له أكثر من عشيقة .

ـ تريد أن تكون مثله؟

ـ جيسى أنت تملئين على حياتى.

ـ أيها الكاذب.

وقف فجأة:

ـ آه لقد أحضرت معى طعامًا ، لا تقومى من فراشك، دقائق وسأجلبه لك، لقد تركته فى الطابق الأرضى، أنا لا أعلم لماذا تعيشين فى هذه الفيلا الكبيرة ؟

ـ إننى عالمة آثار وأحب أن أحاط بها ، وهذه الفيلا تحفة معمارية خالدة ثم إنها سكن إدارى تابع للمتحف.

يتركها ويهبط مسرعًا ، دقائق ويناولها طبقًا به شطيرة وزجاجة

بيرة مثلجة، تناولته منه، نظرت فيه مليًا ثم قالت ضاحكة:

ـ أنسيت أننى يهودية .

ـ وما دخل ذلك فى الطعام، إنها مجرد شطيرة هامبورجر بالجبن.

ـ نديم هذا مخالف للأطعمة الشرعية لنا (الكوشير).

ينظر لها باستغراب، تسترسل:

ـ نعم فى اليهودية يحرم الجمع فى الطعام بين الأم وجنينها وها أنت تأتينى بلحم الابن يجاور الجبن المصنوع من لبن الأم .

ـ أول مرة أعرف أنك متمسكة بالشرائع الدينية .

ـ أنا كما تعلم متحررة فى كافة شئون حياتى، لكن لا تنسَ أن عمى حاخامُ فقد تربيت على مثل هذه الأشياء، فأصبحت عادة أكثر منها إتباعًا لناموس الشريعة .

تنظر له بدلال قائلة:

ـ ألا تعلم لماذا أسلمت لك جسدى لتعبث به؟

ـ لماذا؟

ـ لأننى أعلم أنك مختون منذ طفولتك .

يتضاحكان بصوت عالٍ، ينظر إلى ساعة الحائط

ـ آه يجب أن أعود للعمل لقد قاربت ساعة الـ Lunch Time إلى الانتهاء.

طبع قبلة على شفتيها مضيفًا:

ـ أراك الأثنين القادم، إلى اللقاء.

*****

فى هذا اليوم غادر نديم عمله مبكرًا، فضل أن يستقل مترو الأنفاق

من المحطة التالية ليسير بعض الوقت مستمتعًا بهذا الجو الصحو الذى لا يراه كثيرًا فى واشنطن دى سى، فالطقس هنا مثير للعجب، يتغير من خمس دقائق إلى أخرى، من شمس مشرقة إلى رياح وغيوم ثم أمطار غزيرة. سار نديم فى طريقه المفضل الوارف الأشجار متمتعًا بألوانها فى هذه الفترة من السنة، حيث تصل إلى أوج زهوها فى أواخر شهر مارس خاصة أشجار الكرز أو الساكورا بأزهارها البيضاء النقية الموشحة باللون الوردى، ينظر إلى أعلى تبدو الأزهار كغيمة من السحاب النقى الذى يصهر القلوب.

الساكورا شجرة يابانية، كانت مخصصة قديمًا لزراعتها لدى النخبة الحاكمة فقط، ثم سمحوا بزراعتها فى الحدائق العامة والمعابد، تغلغلت أشجار الساكورا فى وجدان الشعب اليابانى حتى أنها صارت رمزًا وطنيًا للفأل الحسن والمحبة والربيع، فنقشوها على العملة الوطنية، وترددت فى أغانيهم، ورسمت على أوانى الطعام والمزهريات حتى لباس المرأة الوطنى (الكيمونو)، ووشمها طيارو العمليات الانتحارية (الكاميكاز) على جوانب طائراتهم فى الحرب العالمية الثانية بل وحملوا معهم أغصانها لتبث فيهم الروح الوطنية.

انتقلت الساكورا إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٢ عندما أهدتها الحكومة اليابانية ثلاثة آلاف وعشرين شجرة بمناسبة نمو الصداقة بينهم، وتم زرعها فى حديقة منهاتن بنيويورك وفى العاصمة واشنطن.

يمعن نديم النظر فى عاشقين يستندان على إحدى الأشجار، يتبادلان القبل فى نهم، كانت الفتاة شقراء تشبه جيسيكا، تهف عليه، يبتسم.

"كم هى جميلة وجذابة، إنها تلائمنى تمامًا، فهى لا تريد أكثر من علاقة جنسية خالصة دون أى إضافات مثلما أريد، فأنا أؤمن بأن أمرأة واحدة لا تكفى لرجل مثلى يحمل بين جنباته قلبًا وبين ساقيه آداه يمكنهما إرواء أكثر من إمرأة فى آن واحد.

كلما أتذكر وقفتها على البار فى إحدى الحانات بفستانها التركواز المجسم على قوامها المبهر، اقتربت منها نظرنا لبعضنا فقط ثم تبادلنا القبل، اصطحبتها إلى منزلى ومارسنا الحب، كانت زوجتى والاولاد مدعوين إلى مزرعة والد صديقتها جومانه فى ويست فرجينيا، ومن يومها اتفقنا على اللقاء فى فيلتها أيام الإثنين من كل أسبوع".

السماء بدأت تمطر، أخذ يسرع الخطا هابطًا درجات محطة المترو مختفيًا داخلها، يقفز داخل إحدى العربات، يجلس على أقرب مقعد خالٍ، إيقاع دقات العجلات على القضبان منتظم لا ينتهى، طنين المحرك قوى على وتيرة واحدة لا يفتر.

"يذكرنى هذا الصوت بإرادة علا وعزمها، عرفتها فى حفل عيد ميلاد جان فهى صديقة زوجته جومانة أحببتها من النظرة الأولى، عشقت فيها ابتسامتها المشرقة، روحها المرحة، سخريتها اللاذعة، جسدها الفائر البرى المشتاق لمن يروضه، أحسست بأن دمها يجرى فى عروقى، بأنها أم أولادى أزالت لى علا كافة الصعاب لأقترن بها، قبلت العيش فى إستوديو صغير هى من كانت تقيم فى منزل كبير بحى راق بفرجينيا مع أختها، تحملت معى شظف العيش حتى استقرت أقدامنا على أرض صلبة، فى بعض الأوقات ألوم نفسى لخيانتى لها مع أخريات، ولكنى فى مجتمع مفتوح لا يركن إلى الأحادية، وهذا يستهوينى فأنا أعتبر الأحادية محطة الملل بل اقتراب من الموت فأنا تلقائى أعشق الحركة والتنقل دون سكون كالفراشة فى تنقلها من

زهرة إلى أخرى، وهذا يبقينى مشتاقًا لعلا ولمذاقها الخاص.

يقف المترو فى محطته، يسرع بالنزول، يرتقى درجات المحطة يلمح حافلة Bus Connector تهم بالتحرك يعدو ليلحقها، يصعد، يجول ببصره على مقعد خال، تثبت عيناه على الممثلة الهندية Ais-warya Rai .

"إنها هى، أكيد إنهم يصورون فيلمًا فى الحافلة، ولكن لا توجد كاميرات أيمكن أن تكون شبيهة لها، شعرها الأسود السائل على الأكتاف، خصلة منه نافرة على الجبين تزيدها دلالاً، عيون واسعة ناعسة غارقة فى عسلها البنى، بلوزة بيضاء اللون تحدد استدارات النهدين التفاحية يعلو قمتهما حلمتان نافرتان تكادان أن تخترقا أنسجة القماش، على ساقيها وضعت حقيبتها وجاكيت سماوى اللون وعقدت فوقهما كفيها، أصابعها عاجية ملفوفة فى تناغم يثير الحواس ويطلق العنان لتخيل باقى كنوزها، تعمدت مواصلة الوقوف مستندًا على العامود المعدنى، لمواصلة تمتعى بتلك الحورية، أخذت أخمن هل هى هندية أم لاتينية أو ربما جنية.

لاحظت أن السائق ينظر لى متسائلاً لماذا الوقوف، أنهيت تساءله:

ـ إن قدَمَىّ بهما خدر لذا أفضل الوقوف.

كنت أريد ألا تصل الحافلة لمحطة Park and Ride ، أشعر بأننى فى الجنة وها هى أمامى إحدى الحور لمدة عشرين دقيقة مستمتعًا بصحبتها، قاربت الحافلة على الوصول لتنهى هذا الحلم الرائع، وقفت بقامة مشدودة، بدا بنطال الجينز الأزرق ملتصقًا على فخذين دولفينين، يستدير بفتنه عند المؤخرة، اقتربت منى يفوح منها عطر Basic Instinct المثير للغرائز، عندها أيقنت أنها ولدت من رحم أيقونة

الجمال الصافى.

فجأة نظرت لى، انبعث من فيها صوت فيولينا ساحرة:

ـ هل الحافلة تعمل فى العطلات الرسمية؟

تلعثمت، جفت الكلمات فى حلقى، فمازلت واقعًا تحت تأثير طلعتها المبهرة:

ـ يمكنك أن تسألى السائق.

هكذا خرجت الكلمات من فمى باردة جافة غبية، توقفت الحافلة، هبطت منها مسرعة، شعرت بأننى أضعت فرصة التعرف عليها، تخطانى عدة أشخاص فى النزول هبطت متلفتًا باحثًا عنها، فأنا على الأقل مدين لها بالاعتذار.

"طوال قيادتى لسيارتى للمنزل وأنا أفكر فى ذلك الكائن الملائكى الذى لطشنى هواه، حتى أوقفت السيارة أمام منزلى ترجلت منها، لمحت علا قادمة من منزل جارنا سامى عنتر، ابتسمت لملاقاتها.

عندما أرقبها قادمة، أشعر بالأمان، لحظة معانقتى لها تعاودنى روحى الضالة، يسربلنى الرضا بما أنجزت فى أرض الغربة، أسير بجوارها لندخل منزلنا أشعر بأننى طفل تصطحبه أمه إلى مهده."

تبادره قائلة:

ـ هيلين هربت تاركة سامى وحده !!

ـ لماذا ؟! إن سامى يعشقها.

ـ تركت له بضعة كلمات مقتضبة تخبره فيها أنها رحلت للأبد.

ـ صوتك يفضح عدم حزنك عليه.

ـ لا تنسى أن سامى كان يغار عليها بطريقة جنونية ويضيق عليها الخناق، منعها من عملها منعها من الخروج إلا فى أضيق الحدود، كانت إقامتها جبرية.

ـ لا تنسى أيضًا أصوله النوبية وكيف هى عادات أهل الجنوب فى بلادنا ، ثم إنها ارتضت بهذا الوضع.

ـ ربما لفترة لتهدئة الأمور معه وليس لطول العمر.

ـ ربما ، لكن أخبرينى كيف حال سامى ؟

ـ إنه فى احتياج لك أنت وجان يجب أن تكونوا بجواره هذه الأيام.

ـ طبعًا ولكن ليس الآن، اتركيه يختلى بنفسه لبعض الوقت . لكن متى هربت هيلين ؟ لقد رأيتها بالأمس عند رجوعى من العمل .

ـ فى جنح الليل، فلون الغدردائمًا أسود يا عزيزى .

ـ إن سامى لا يستحق هذا الغدر.

ـ قمع الحرية يؤدى إلى الانتقام .

نظرت فى عينيه مباشرة مستكملة :

ـ الانتقام دائمًا هو مفتاح الخيانة عند المرأة، أما الرجل فمفتاح خيانته الرغبة.

*****

obeikandl.com

(٢)

فى عام ١٦١٩ نصب السير جورج باردلى حاكمًا لمستعمرة فرجينيا لتبدأ أول ممارسة للحكم الذاتى فى تاريخ العالم الجديد.

وحملت المستعمرة الجديدة اسم فرجينيا تيمنًا بملكة بريطانيا إليزابيث الأولى التى كانت تلقب بالعذراء Virgin كما يدْعُون.

وفى عام ١٧٨٨ كانت فرجينيا من أوائل الولايات التى انضمت إلى اتحاد الولايات الأمريكية، كما تلقب بأم الرؤساء حيث هى مسقط رأس ثمانية ممن احتلوا سدة الحكم فى الولايات المتحدة، وهى تتماس من ناحية الشمال الشرقى بالعاصمة واشنطن وتتكون من عدة مقاطعات أشهرها عاصمتها ريتشموند، فيرفاكس إرلينجتون، لاودون وألكسندريا موطن جورج واشنطن أول رئيس للبلاد.

كما يوجد بفرجينيا مبنى وزارة الدفاع (البنتاجون)، ويعيش بها حوالى ثمانية ملايين نسمة منهم خمسة وثلاثون ألف عربى.

تقيم علا وأسرتها فى حى سترلينج Sterling المشهور بوجود عدد كبير من الشركات التجارية الكبرى به ويعيش فيه أكثر من ثمانية وعشرين ألف نسمة والذى يقبع فى مقاطعة لاودون Loudoun Cou-try وهى أكبر وأغنى مقاطعة ليس فى فرجينيا فقط بل فى الولايات بأسرها.

تقف وسط مطبخها تعمل بهمة، بقوامها الفاره المشوب بالسمنة إلا إنه لا يخلو من الفتنة والإثارة. قسمات وجهها الحنون وخصلات شعرها

المتروكة ببدائية يضفيان عليها جاذبية من نوع خاص.ورثت من أبيها طيبة القلب وثقتها بالناس، بينما أخذت من أمها قوة الإرادة والتحمل.

ينطلق رنين الهاتف:

ـ ألو .. أوه مسز سميث ستكون الفطائر جاهزة فى تمام الثانية عشرة، نعم سأجلبها لك.

تقفل الخط على عجل، تفتح باب الفرن تطمئن على حال الفطائر، فهى منذ زواجها من نديم رفعت شعار

التوفير لتحقيق حياة أفضل لأسرتها، ففى بدايات زواجها حرصت على الاشتراك فى برنامج (WIC (Women, Infants and Children وهو منظمة دولية تدعمها الحكومة الفيدرالية تقدم الرعاية الصحية والتغذية لذوى الدخول المنخفضة من النساء الحوامل والأطفال الرضع حتى سن خمس سنوات، فتوفر لهم شيكات لشراء أغذية صحية تكميلية.

كما أنها تتردد بانتظام على محلات Good Will وهي هيئة لا تهدف للربحية، تأخذ كل ما يتبرع به الأفراد من أشياء لا يحتاجون لها، وتعيد بيعها بأسعار زهيده فى فروعها المنتشرة بأنحاء الولايات من أجل استخدام العائد فى أعمال خيرية متنوعة والأفراد المتبرعون بهذه الأشياء يكسبون شيئين أولها التخلص من الأشياء التى تشكل لديهم كراكيب، و الثانى استلامهم إيصالاً من هيئة النوايا الحسنة تخفض به ضرائبهم.

وبعد انتقالها إلى المنزل الجديد أخذت على عاتقها مساعدة نديم فى زيادة دخل الأسرة عن طريق طهو الحلويات والمأكولات بالطلب إلى المعارف والأصدقاء.

تفاجأ بانسداد حوض المطبخ، تفتح ضلفة الدولاب أسفله، تجثو على ركبتيها لفكه من أجل تسليكه فهى تعلم جيدًا أن استقدام عامل سباكة سيؤدى إلى عجز فى ميزانية المنزل، تستلقى تحت الكوع، تنجح فى فكه يندفع ما بداخله فى وجهها، يفور ما بداخلها من معاناه، تنفجر باكية، تجلس مستندة على دولاب الحوض.

"لقد سئمت الوضع أليس من حقى مثل كل النساء أن أجلس على أريكتى مسترخية أحتسى فنجان قهوتى وأنفث دخان سيجارتى باستمتاع . أرتدى مايوهى وأستلقى على ظهرى ملتحفة أشعة الشمس الحنون على شواطىء فرجينيا بيتش . أن أتألق فى فستان سهرة عارى ليراقصنى نديم فى أحد الملاهى، هل هناك عيب من أن أرتاد عروض الأزياء والمسرح".

تستكمل إصلاح الحوض، تذهب للاستحمام، عند عودتها ترى من النافذة ترجل صديقتها جومانة من سيارتها.

"كم أحب طلتها، بياضها الشاهق، عينيها الخضراوين، بحة صوتها، قلبها المشتعل بالحنان، أسلوبها الراقى فى الحديث، قوامها الفرنسى، فتاه بيروتية بحق، تفتح لها الباب، يتبادلان القبلات، تبادرها علا:

ـ فى ميعادك، دائمًا منضبطة !!

ـ وأنت ألست جاهزة للذهاب؟

ـ لا .. سنذهب فورًا، ولكن أستميحك عذرًا بأن نأخذ سيارتى لإعطاء تلك الفطائر إلى مسز سميث ثم نعرج على Macy's إن لديه تخفيضات على ملابس الأطفال ثم نذهب إلي Save way لإحضار ما تريدين من أطعمة .

ـ ولماذا لا نذهب بسيارتى؟

ـ لأننا بعد رحلة الشوبينج سنحضر الأطفال من المدرسة وسيارتى أوسع.

ـ آه دائمًا تفكرين فى الموضوع من كافة جوانبه.

*****

يدلف نديم إلى مبنى عمله، يقترب من موظفى الأمن، يحييهم كعادته، يلمح وسطهم شابًا فى العشرينيات من عمره قوقازى الملامح، قوى البنية لم يره من قبل. مال الرجل على زميله، همس زميله فى أذنه، على أثرها اعتدل فى وقفته ثم أخذ يرمق نديم بنظرات عدائية غير مبررة، حاذاه نديم، تخطاه، وقف فجأة مناديًا على أحدهم بادره مشيرًا إلى الرجل:

ـ روبرت من هذا الشخص؟

ـ آه تقصد جون ويلكس.

ـ أرأيت النظرة التى تكسو وجهه.

ـ لا تأخذ عليه مستر نديم أنه جديد وربما يكون متوترًا من أول يوم عمل له.

ـ ربما .. ولكن أخبره أن يستقبل الناس بابتسامة.

يصعد نديم إلى طابق عمله، يسير فى الممر الطويل محييًا من يلاقيه من زملائه، اقترب من مكتب زميلته اللدودة جانيت راى، تلك الأمريكية ذات الأصول الإفريقية، تمتلك جسدًا يجعل أى رجل يحلم بأن يتذوقه والتمتع بمقاييسه البديعة إلا أن قسمات وجهها الغليظة تجعله يفكر مليًا قبل الاقتراب. تعتز جانيت بكونها أمريكية وتكره الأقليات على الرغم من كونها أقلية، كانت على علاقة حميمة بنديم

قطعتهـا بمجـرد علمهـا بأنه مسـلم أصبحـت علاقتهما يشـوبها العداء والسخرية من بعضهما البعض.

حـاذى بـاب مكتبها ، لمحـه مفتوحًـا ، بنظرة مواربـة وجدها تقف منحنيـة تلتقـط شـيئًا مـن الأرض ، مؤخرتهـا تتصدر المشـهد ، توقف متأمـلاً أبعادها التـى يعرفها جيدًا ، طالقًا العنـان لذكرياته عن ليالى الحب الدافئة معها.

تشـعر بحركة خلفها ، تعتدل ملتفتة ، تفاجـأ به واقفًا مثبتًا نظراته عليها :

ـ ما هذه الوقاحة؟

ـ وقاحة؟؟!! .. أنسيت؟؟!! .. أنت كنت تتمنين منى نظرة .

ـ متى .. فى الحلم؟

ـ أنت وجنسك كالقطط تأكلن وتنكرن.

ـ وماذا أكلت؟ هل ما تمتلكه بين ساقيك يشبع أنثى مثلى؟

ـ لا تبدئين .. فلدى تسجيل كامل لتأوهاتك.

عندها اندفعت تجاهه غاضبة وهى تصيح فيه :

ـ أغرب عنى يا حقير.

يقهقـه نديـم لنجاحـه فـى إغضابهـا ، يسـرع الخطـو إلـى مكتبـه يضيـىء الأنوار ، تظهـر محتوياته وكأنها متحف مصغـر يعرض لتاريخ مصـر الطويل ، يعلـو مكتبه تقليد للوحة المولد لمحمود سـعيد يجلس وراء مكتبـه الـذى يوضع علـى أطرافه تمثـالان لتوت عنـخ آمون وآخر لنفرتيتى ، على جدران الحجرة الجانبية علقت صورة لمحمد على باشـا بانى مصر الحديثة وعلى الجانب الآخر صورة للإمام محمد عبده مصلح

الدنيا والدين فى عصره وأمامه على الجانب الأيمن من باب المكتب علق تمثال لإله التناسل لدى قدماء المصريين بعضوه الذكرى الضخم يستخدمه فى تعليق مفاتيحه وعلى الجانب الآخر من الباب زين الجدار ببردية بها نصائح للحكيم آنى لتلميذه خونسوحتب.

فى ركن الحجرة بجانب مكتبه وضعت منضدة وكرسيان من شغل الأرابيسك، على المنضدة أباجورة على هيئة وجه كليوباترا من الخشب يعلوها شابو بيج اللون موشه بالحروف الهيروغليفية، اكتست الأرضية بسجادة يدوية من أعمال أهل سيوه، المكتب مزار لكل من يعمل بالمجلة يتنسم فيه عبق التاريخ والأصالة.

استطاع نديم أن يؤثثه من الأشياء الزائدة عن الحاجة فى منزله حيث أخذت علا من أختها عند سفرها إلى الخليج الكثير من الأثاث والتحف فأختها لديها ولع شديد بجمع الأنتيك المصرى القديم.

جلس نديم وراء مكتبه، منكبًا على إعداد أوراقه استعدادًا لاجتماع التحرير بعد قليل، يسرح بخياله فى أيقونة الجمال التى وضعها القدر أمامه فى Bus Connector .

"فاليوم خفق قلبى بشدة عندما أعمانى بريق شمسها وهى تستعلى سدة المقعد الأول بالحافلة، سعادتى كانت غامرة عندما لاحظت أن المقعد الذى بجوارها شاغرٌ، نظرت لها فى جرأة ثم حولت نظرى إلى جوارها مبتسمًا، تحركت بجسدها المثير سامحة لى بالجلوس، أخيرًا بعد أيام من الترقب وتبادل النظرات سنحت لى الفرصة للاستمتاع بمجاورتها وتقديم اعتذارى لها، شعرت بالسخونة المنبعثة من جسدها الملتهب، حييتها بإيماءة من رأسى بدأت بالتلصص بنظرات موارية على شعرها المنسدل بلا عوائق، شفتيها المرسومتين عيونها الغزلانية،

عندها أيقنت أنها أجمل من إيشوارى راى ."

بصوت يشوبه كثير من الأدب خاطبتها :

ـ اسمحى لى أن أقدم اعتذارى عن إجابتى الجافة عندما سألتينى أن الحافلة تعمل فى العطلات .

ـ لاعليك لقد أجبتنى بعمل الصواب.

ـ اعذرينى فأنا عندما رأيتك تصورت أنك إيشوارى راى الممثلة الهندية؟

نظرت لى بعيونها الناعسة قائلة :

ـ لماذا يصر كل من يقابلنى أننى أشبهها ألا يروا الفروق الواضحة بيننا؟

ـ فعلاً .. أنت أجمل منها .

ضحكت عاليًا ليظهر صف أسنانها المتلألئ ، عندها مددت لها يدى:

ـ نديم الشاعر صحفى فى مجلة Art .

"عند وضعها كفها فى راحتى، كأنها صعقتنى بآلاف الفولتات الكيوبيدية التى أحالت جسدى إلى سفنجة متعطشة تشربتها فى نشوة غامرة.

رن هاتفها المحمول، سحبت كفها من حضن كفى، التقطت هاتفها من حقيبة يدها ، تكلمت بلغة أشبه بالعربية نفس الحروف والنغم لكنها ليست نفس اللغة ، أنهت المكالمة ، نظرت لى" :

آسفة جدًا .. أنا ميتاب شيرازى أعمل مفتشة مالية بوزارة العدل.

"فعلاً فأنت تشبهين القطط الشيرازى فى جمالها الساحر ، نعومتها ،

رقتها ، أظفارها المتناسقة ، جسدها الإنسيابى"

تمالكت نفسى قائلاً :

ـ نحن نعمل فى نفس الشارع .. أنت تبعدين عنى عدة مبانٍ فقط.

توقفت برهة عن الكلام ثم استرسلت:

ـ إذن أنت تكلمت باللغة الفارسية.

ـ كيف عرفت؟

ـ إن لقبك شيرازى وشيراز مدينة مشهورة بإيران ثم إن لغتك بنفس حروف لغتى العربية.

ـ نعم أنت صائب .. و أنت عربى .

ـ نعم مصرى.

ـ أوه بلد الأهرامات وأبو الهول .

ـ هل زرت مصر من قبل؟

ـ لا للأسف ولكنى قرأت عنها كثيرًا.

"خففت الحافلة من سرعتها ، نظرت من النافذة ، للأسف وصلنا ، إن المسافة كل يوم تمر طويلة مملة ، أما اليوم مرت كومضة عين.

همت بالوقوف ، سارعت بالتحرك مفسحًا لها المكان ، وقفت بقوامها الفاتن ، أشرت لها بأن تتقدمنى مستمتعًا باستدارة مؤخرتها المتناسقة ، متمنيًا تذوقها ، نزلنا من الحافلة."

ـ هل ستستقلين المترو معى؟

ـ لا أنا لن أذهب لمبنى عملى بل لدى عمل فى أحد فروعنا لذا سأستقل سيارة أجرة لهناك ، فرصة سعيدة سيد نديم .

"وقبل أن أسترد وعيى من خدر جمالها الطاغى ابتعد طيفها عن

obeikandl.com

عَيْنَىّ ليستعمر عقلى ووجدانى"

أخرجنى رنين هاتفى من تخيلاتى:

ـ آلو .. خوسيه .. نعم سأحضر حالاً إلى الاجتماع .

أدار نديم مقبض باب مكتب خوسيه، وجدهم ملتفين حول منضدة الاجتماعات يتناقشون، كان صوت خوسيه هادئًا كالعادة يوجه كلامه إلى جانيت:

ـ على مر العصور حرق الكتب هو سمة الخائفين، فبدلاً من محاربة الفكر بالفكر يلجأون دائمًا إلى الطريق السهل وهو القمع، وأقدم من قام بحرق الكتب الإمبراطور الصينى شى هونج عام ٢١٢ ق . م ليمحو تاريخ الأسر السابقة لعهده . ثم تكررت هذه الجريمة عبر التاريخ وقرأنا عما فعله الرومان بمكتبة الإسكندرية وهولاكو لكتب بيت الحكمة ببغداد حيث حرق أكثر من ثلاثة ملايين كتاب حتى هتلر تحت شعار ضد الروح غير الألمانية قام بحرق آلاف الكتب لكارل ماركس وفرويد وتوماس مان وغيرهم .

هنا تدخلت جانيت:

ـ لقد فهمتنى خطأ .. أنا لا أدافع عن هذا القس المخبول بل على العكس إننى ضد هذا التعصب .

يتدخل نديم:

ـ كيف؟ وبماذا تفسرين كرهك لى ولبنى عقيدتى؟

ـ أنا لا أكرهكم ولكنكم مدانون فى نظرى منذ ما فعلتموه فى الحادى عشر من سبتمبر.

أنت تضعين بأفقك الضيق المسلمين كلهم فى سلة واحدة فتظلمين

مليار مسلم بجرم حفنة متطرفين مع افتراض أنهم وراء التخطيط والتنفيذ لهذه الكارثة التى يكتنفها الكثير من الغموض، أريد أن أسألك سؤالاً، هل ديننا هو الدين الوحيد الذى به متشددون؟ بالطبع لا، فكل الأديان بها هذه العقول المهووسة وأكبر دليل على كلامى وجود هذا التيرى جونز الذى لم يقرأ القرآن ولا يعرف محتواه ويريد إحراقه.

ترد عليه بحده:

ـ أنا لست متشددة بل فى منتهى الحيادية، هل تظن أننى لا أبحث وأنقب فى جريمة الحادى عشر من سبتمبر لأصل إلى نتيجة نهائية، لكنى وحتى أصل إلى هذه النتيجة أنتم فى نظرى مدانون.

يتدخل خوسيه رافعًا كلتا ذراعيه لأعلى وبصوته الهادىء المغلف بالحزم

ـ كفى أرجوكم .. لدينا عمل يجب أن ننهيه.

هدأت الأصوات، جال ببصره فى وجوههم مسترسلاً:

أولاً أحب أن أهنئكم على العدد السابق فلقد فاق صداه المتوقع وخاصة من النخبة، تعلمون أن هذا الاجتماع خاص بالعدد التذكارى الذى سنصدره احتفالاً بمناسبة اليوبيل الخشبى على إنشاء مجلتنا أعلم أن الوقت مبكر لذلك ولكن الادارة تريد عددًا لا ينسى، لذا قررت أن أوزع عليكم مهامكم لهذا العدد قبلها بوقت كاف حتى يكون لديكم فسحة من الوقت لبذل أفضل ما لديكم.

بدأ يوزع المهام على المحررين، التفت إلى نديم قائلاً:

ـ أنت مكلف بعمل موضوع عن الكابيتول وإظهار مابه من فنون معمارية.

التفت إلى جانيت:

ـ وأنت ستُعدين موضوعًا عن الشاعر خليل جبران .

هنا صاح نديم محتجًا :

ـ من فضلك خوسيه .. كيف تعطى هذا الموضوع إلى جانيت أرأيت رأيها فى بنى جنسى إنها لن تكون محايدة ، ثم أنت تعلم أنه شاعرى المفضل .

اعترضت جانيت عليه مقاطعة :

ـ جبران شاعر أمريكى ألم تذهب إلى بوسطن وترى نصبه التذكارى فى كوبلى سكوير أحد أهم ميادين المدينة و حديقته هنا فى جادة ماساشوستس .

ـ جبران لبنانى المولد والمنشأ ، عربى الثقافة وأنا أولى بالكتابة عنه ، ثم يكفى خوسيه أنك أعطيتها موضوع الصحافة العربية فى أمريكا وأنا أحق به .

يتدخل خوسيه ثانيةً بصوت حازم:

ـ نديم لاتنسَ أنى هنا رئيس التحرير ، وأنا من أوزع الموضوعات ، ثم إننى قلت لها أن تشاركك الرأى فى موضوع الصحافة العربية ، ومع هذا أنا لاأمانع من أن تتبادلا الموضوعات هذه المره.

قالت جانيت بصوت هادئ :

ـ أنا لامانع لدى ، فقط ليعرف أننى لست متعصبة .

فقال خوسيه:

ـ إذن أرجوكم لانقاش بعد الآن ، وتفضلوا إلى أعمالكم .

*****

فى فترة الـ Lunch Time عرج نديم على كافيه PotBlley المعتاد

ارتياده فى هذا الوقت لتناول شطيرتيه مع كوب من العصير، دفع الباب بيده، دخل، جلس على مائدته المفضلة، سطعت هالة نورمن بقعة قصية من الكافيه، جعلت قلبه يطرب، قام مسحورًا، اقترب منها .

"جذابة فى ثوبها الروز، أناملها الناعمة المكسو قممها بلون ثوبها المبهج تتحرك على الـ Laptop بخفة كأنهن راقصات باليه، آه عندما أراها، يتأهب جسدى، يرتعش رغبة . أقتربت منها بخفة، انحنيت عليها بهدوء وبصوت خافت":

ـ لماذا تجلس حفيدة عمر الخيام فى هذا الركن الخفى؟

ـ أوه سيد نديم، كيف حالك؟

ـ أنا بخير، هل من الممكن الجلوس معك؟

تلفتت حولها فى وجل ثم قالت بصوت متردد:

ـ تفضل .

ـ لم تجاوبينى، لماذا تجلسين فى أخر الكافيه .

ـ بعيدًا عن الضوضاء وأعين الناس .

فضلت أن أجاورها لأتلصص على ما تظهره فتحة الثوب التى قاربت مفرق النهد، لمحت صورة رجل تفترش Desk Top، ذو رأس كبير، قسمات وجه صارمة، لاحظت فضولى، أخبرتنى أنه زوجها نجاد مهندس برمجيات بأحد المراكز التابعه FBI، وأن لديها منه طفلين، كان فى صوتها رنة حزن برغم وجهها الباسم، قاومت فضولى بعدم السؤال، تشبثت بنظرى على نظراته الميتة، وتساءلت هل يقدر ذلك الصنم بأنه متزوج من عشتار؟ هل يشكر الله ليل نهار عندما يتلفت ويجد القمر مستلقيًا بجانبه ؟ هل يخر ساجدًا لله عندما يمتطى صهوة هذه المهرة الفارسية ؟

فاجأتنى بسؤالها :

ـ هل أنت متزوج؟

ـ نعم ولدى ولد وبنت .

ـ ما اسم زوجتك؟

ـ تدعى علا بمعنى المكانه العاليه الساميه .

ـ اسم جميل.

ـ وما هو معنى اسم ميتاب؟.

ـ باللغة الفارسية يعنى القمر.

ـ لقد ظلموك .. فالقمر قطعة أرض معتمة تستمد ضوءها من انعكاس أشعة الشمس عليها أما أنت فنجم يضوى .

تنفجر بسمتها ليزداد وجهها اشراقًا ، نظرت فى ساعة يدها قائلة :

ـ يجب أن أعود لعملى .

قبل أن نغادر تبادلنا E_mail Add. وافترقنا على وعد اللقاء.

*****

ينتظر نديم فى سيارته جاره سامى عنتر للذهاب إلى عزومة صديقهم جان فى Hookah Bar وهو مطعم وكافيه به بار غربى وصالة لتدخين الشيشة ، ومشهور عنه أنه ملتقى لإقامة العلاقات العابرة ، فإذا استلطفتك إحداهن فلا مانع من مغادرة المكان معك أو تبادل أرقام التليفون على وعد اللقاء .

اقترب سامى بقوامه الفارع وسمرته النوبية ، ركب السيارة بجوار نديم ، برغم حزنه إلا أن الابتسامة لا تفارق وجهه ، صاح فيه نديم بصوت مرح:

ـ كيف حالك يا أبو السام؟

ـ لا بأس .

ـ ها قد بدأت ترجع إلى طبيعتك .

ـ تعرف نديم .. إن ما يحزننى أننى لم أهجرها أنا منذ زمن، فلم يكن يروقنى رائحة عرقها ولا طهيها كما أنها لم تأتنى بطفل، لكنى ربما اعتدت هذا كله ولم استطع فراقها حتى هجرتنى هى .

ـ أشعر فى نبرة صوتك بحسرة .. أنت تحبها سامى .

ـ تلك هى المشكلة .. هل برأيك يمكن أن تعود ؟

ـ لا أريدك سامى تبدو كمن ينتظر جودو الذى لا يأتى أبدًا ، لكنى أعدك بأنك سوف تنساها.

" آه يا سامى كم أنت إنسان طيب شفاف نقى فبرغم خيانة زوجتك فمازلت تحبها وتنتظر عودتها ، ربما التعامل الطويل مع الزهور كمنسق وبائع لها ، جعلك تتسم بما تضفيه الزهور على النفس من رقة وتسامح ونقاء".

أوقف نديم سيارته، ترجلا منها . بدا Hookah Bar كلؤلؤة تضوى فى ليل فرجينيا الساهر، دلفا من باب المطعم، لمح نديم جان يجلس كعادته على المائدة التى تتصدر قاعة تدخين الشيشة بجسده الضخم ووجهه الأبيض المشوب بالحمرة وشعره الفاحم المصفف بتأنق، ينفث دخان شيشته وينظر لسقف الصالة بنظرات شاردة.

"لم يتغير جان منذ أول مرة قابلته فيها من خمس سنوات عندما جاء للمطعم الذى كنت أعمل به للاتفاق مع صاحبه لإجراء إصلاحات فيه، فجان يعمل مقاول ترميمات وديكورات، تعارفنا وعندما لامسنا

روافد اهتماماتنا المشتركة بالقراءة والسينما والموسيقى وغيرها تصادقنا ، أصبحنا كتابًا مفتوحًا نقرأه سويًا لا نستطيع الافتراق عن بعضنا كثيرا. "

ـ أخيرًا أتيتم .

بادرنا قائلاً فى ترحاب، قام محتضنًا سامى مرحبًا به، جلسنا ندخن الشيشة ونحتسى زجاجات البيرة المثلجة أخذ جان يواسى سامى بلهجته اللبنانية المحببة للأذن، معددًا فضائح النساء وقدرتهن على الخيانة بدم بارد يحسدن عليه ثم أضاف قائلاً:

ـ لا تحزن يا سامى فالنساء كتكعيبة العنب تعشش العصافير والثعابين أيضًا !!

لكن أنت أيضًا ملام يا سامى فكلنا نعلم أنك قد ضيقت عليها الخناق خاصة فى الآونة الأخيرة .

قاطعه سامى بصوت ضعيف:

ـ من حبى لها جان

ـ سامى لقد قرأت مرة بأنك إذا أردت شيئًا بقوة فأطلق سراحه، اترك للعصفور باب القفص مفتوحًا على مصراعيه فإذا بقى ولم يغادر فهو دائمًا كان لك وإن طار مغادرًا فهو لم يكن لك من البداية فلا تحزن عليه. لكن فى حالتك يا سامى أنت فتحت القفص للعصفور ليس ليخرج بل لتدخل أنت وتغلقه .

أعجبنى جدًا وصف جان الأخير وتذكرت علا وأسئلتها الدائمة لى بعيون قلقة يملؤها الشك .

اختتم جان كلامه وهو ينظر فى عينى سامى:

ـ لكن للأسف سامى البعض يحب برغم الخيانة .

ثم نظر فى عينىّ "تذكرت فيها نظرة علا التى تعرينى وتحسسنى بأنها تعرف كل شىء عنى".

و استرسل جان:

ـ وهناك من يخون برغم الحب.

لاحظنا أن سامى شرد بنظراته ناحية البار حيث الشقراء المتراقصة، كانت هى أيضًا تنظر تجاهه، أخرج جان من جيبه مفتاحًا ناوله لسامى.

ـ غرفة عشرين فى موتيل Sweet Night فى آخر الشارع.

تجولت نظرات سامى بين الشقراء ويد جان الممدودة له، صاح فيه:

ـ هيا لا تتردد .. اذهب وادفن همومك، لا ينسى المرأة إلا المرأة.

تناول سامى المفتاح من يده ووقف ذاهبًا تجاه الشقراء، نظرت إلى جان متسائلاً:

ـ ومن أدراك أنها ستوافق.

ـ إنها نيكيتا فتاة الليل الأوكرانية أنسيتها.

قالها وضحك بصوت عال، رن جهاز الـ BlackBerry الخاص بى معلنًا عن قدوم رسالة فتحتها، رفرف قلبى فرحًا عندما رأيت الحروف المكونة لأسمها ميتاب .. كانت رسالة مقتضبة "هل لديكم فرصة عمل لخريجة فن تشكيلى بمجلتكم".

أخذت أرد عليها خاطًا عدة كلمات بأننى سأنتظرها غدًا فى ميعاد الـ Lunch Time فى نفس الكافيه الذى تقابلنا فيه ضغطت على Send وأنا أتمنى تذوق ذلك الجمال الفارسى قريبًا

*****

(٣)

ساحة الحرية Freedom Plaza التى تقع فى ١٣٣١ بجادة بنسلفانيا شمال شرق العاصمة هى، خريطة عملاقة على مسطح حجرى يصور شوارع واشنطن دى سى، ومعلم سياحى مشهور يطيب للسياح التجوال عليه، وسميت بساحة الحرية نسبة إلى مارتن لوثر كينج (راعى الكنيسة الذى نذر نفسه للتنديد بالفصل العنصرى وأصبح زعيمًا لحركة الحقوق المدنية بالبلاد واغتيل فى عام ١٩٦٨ وأصبح رمزًا للحرية فى البلاد) حيث كتب مسودة خطبته الشهيرة "لدى حلم" بأحد الفنادق الصغيرة القريبة من ساحة الحرية وألقاها عند نصب إبراهام لينكولن عام ١٩٦٣ فى أكثر من مائتين وخمسين ألف مناصر والتى عبر فيها عن رغبته فى أن يتعايش السود والبيض بحرية ومساواة وتجانس واعتبرت هذه الخطبة من أكثر الخطب بلاغة وتم اختيارها أهم الخطب فى القرن العشرين.

فى منتصف ساحة الحرية يوجد أكبر ميدالية برونزية فى العالم وشم عليها الختم الأعظم الماسونى الذى أخذته الولايات المتحدة رمزًا لها وطبعته على عملتها، بل إن العاصمة بأسرها قد شيدت على أسس وطقوس ماسونية قام بها جورج واشنطن وبنيامين فرانكلين وآخرون ممن كانوا يعتبرون معلمين ماسونيين.

ترجل نديم من السيارة الأجرة، تلفت حوله باحثًا عن جيسيكا، رأى فريق عمل المتحف يحيط بالميدالية البرونزية يفحصونها. اقترب

منهم، هم بأن يسأل أحدهم عنها . رن جهازه المحمول معلنًا عن قدوم رسالة كانت من جيسيكا .

"عذرًا ، اضطررت للعودة مبكرًا للمنزل، أنا فى انتظارك".

عندما دخلت الفيلا ، استدعانى صوتها ، كانت فى حجرة المعيشة تشاهد التلفاز بادرتنى:

ـ جاءنى تليفون من صديقتى سارة شميت بأن فيلمها "اليهود عبر الزمان" سيعرض الآن فاضطررت للرجوع .

أشارت لى بالجلوس، أخذنا نشاهد الفيلم فى اهتمام حتى ظهرت كلمة النهاية . نظرت لها بعيون تفيض بالتساؤلات، ضحكت قائلة:

ـ ما رأيك ؟

ـ أعرف أنك صديقة لكاتبة الفيلم لذا أريد أن تنقلى لها رأيى بأمانة.

ـ هات ما لديك .

نظرت فى عينيها الزرقاوين، قائلاً: إنها عددت من مدوا يد العون لليهود عبر الزمان وأغفلت العرب تماما مع أنهم أول من أنصفوا اليهود ، بدءا من العهد النبوى مرورا بمعظم ملوك المسلمين على مر التاريخ، فهم أول من استعملوا اليهود ، فمن ينسى يعقوب بن كلس وزير الخليفة المعز لدين الله الفاطمى وطبيب صلاح الدين الأيوبى موسى بن ميمون ووزيرى مالية مصر والعراق فى العشرينيات يوسف باشا قطاوى وحزقيل ساسون حتى فى عصرنا الحديث فالمستشار المالى لملك المغرب محمد السادس هو اليهودى أندرية أزولاى، ثم إن حاخام مذهبك أنت موشيه هيرش حتى مماته كان يشغل منصب وزير الشئون اليهودية فى حكومة السلطة الفلسطينية . وهاهم اليوم اليهود يردون للعرب الجميل بحذف دورهم من التاريخ ، واضطهادهم والتنكيل بهم فى فلسطين .

قاطعتنى بحزم:

أرجوك لا تضع اليهود كلهم فى سلة واحدة، أنت تعرف موقفى أنا ومذهبى من القضية الفلسطينية.

ابتسمت فى وجهها:

ـ نعم أنا أعلم

" جيسيكا تتبع المذهب اليهودى حراس المدينة أو الناتورى كارتا باللغة الآرامية وهو يرفض الصهيونية بكافة أشكالها ويعارض وجود دولة لإسرائيل وينظمون مسيرات تتزامن مع احتفالات ذكرى قيام الدولة اليهودية، فيحرقون فيه العلم الاسرائيلى ويرفعون لافتات تندد بسياسات الظلم التى تنتهجها الصهيونية فى حق الفلسطينيين. وهم يرفضون دفع الضرائب للدولة ولا يتعاملون بعملتها ولا يقتربون من حائط المبكى حيث يعتقدون بأن الصهاينة قد دنسوه بمصالحهم الدنيوية، والمذهب ينتشر فى القدس وعدة دول فى العالم"

نظرت لى بعيون موحية قائلة:

ـ من الواضح أنك اليوم تعب، فخصصته للتنظير.

قالتها واقتربت منى، جلست بجوارى على الأريكة، التصقنا، همست فى أذنيها بما يدغدغ مشاعرها أطلقت ضحكة داعرة، أخذنا نتعرى على أثرها.

*****

صالة جازوزا (Gazuza Lounge) الكائنة فى ١٦٢٩ . Connect-cut Ave من أشهر الملاهى فى العاصمة يفتح أبوابه يوميًا فى التاسعة مساء، ويحتوى على مطعم راق وبار ومساحة مستطيلة للرقص على أنغام DJ ويقدم الشيشة على هيئة زجاجات صغيرة مزخرفة بألوان

زاهيـة توضع علـى الموائد المصنوعة من الخشـب الماهوجنى ومقاعد على هيئة مصاطب مكسوة بالجلد الأحمر . دلف نديم إلى الصالة أخذ يبحث عن جان فى سعادة بادية عليه .

أخيرًا سوف ننعم بليلة ماجنة فزوجتى والأولاد سيقضون عطلة نهاية الاسـبوع بصحبـة جومانة فى عزبة والدها . هـا هو جان كعادته يدخن الشيشة ، تخرج حلقات الدخان من فمه مشكلة لوحة تشكيلية ، يرانى يبتسم ويشير لى بالجلوس قائلاً :

ـ أرأيت خطاب معمر القذافى فى الأمم المتحدة؟

ـ لا

ـ فاتـك الكثير ، لقد جن الرجل ، أخذ يمزق ميثاق الأمم المتحدة ورقة ورقة وهو يسخر منه ، أنا لا أعلم كيف من هو على شاكلته يحكم طوال هذه السنين ، أين شعبه ؟

ـ وهل شـعبه فقـط ، فكافة شـعوب المنطقة لا تسـتطيع أن تفتح أبوابها إلا عند أطباء الأسنان فقط .

أخذ جان نفسًا عميقًا من شيشته وكست وجهه نظرات حزينة أعرفها جيدًا ، فودعت لحظتها الليلة الماجنة نظر لى فى اهتمام قائلاً :

ـ ان بلداننا تمتلك دسـاتير عقيمة ، لا تسـاعد على النمو والارتقاء إلى مصاف الدول المتقدمة التى تعترف بحقوق الإنسـان وتحقيق العدل والمسـاواة للأسـف حكامنا لا يؤمنون بالتغيير سـوى فى شيئين النساء والأزياء فلا أمل فى الإصلاح إلا بالقوة .

ـ يـا عزيزى جـان إن حكامنـا لا يعترفون بأن التغيير سـنة الحياة لأنهم يعتبرون أنفسهم فرضًا وليسوا سنة. هأ هأ هأ .

يهل علينا رجل طويل القامة أشـقر الشـعر ، يستقبله جان بترحاب ،

يقدمه لى بأنه زميل فى حقل العمل يجلس بجواره ويتبادلان الحديث.

تشغلنى الأبدان المتمايلة على أنغام DJ، شيئًا، فشيئًا، يسكن النغم، تهدأ الأقدام عن الرقص، ثوان قليلة ثم يعلو النغم مرة أخرى ليزدحم المرقص وتتمايل الأجساد من جديد. تجذب عينى هالة من نور يشع من ركن قصى، تتسع حدقتى، عندما أتبين الملامح الطلة من فستان السهرة، أخذ قلبى يرفرف كحمامة هادلة قمت منجذبًا للضياء، كانت بصحبة سيدة أخرى. صديقتى كاتى، هكذا عرفتنى بها أعلنت الموسيقى عن رقصة تانجو، طلبت منها مراقصتى، ترددت، شجعتها كاتى، قامت معى، هفهف الثوب الشفيف ليعلن عن القوام السمهرى الذى يتراقص بداخله، وصلنا للمرقص، بادرت بالاقتراب متخذًا وضع الرقصة أمسكت احدى يديها، أشعلنى ملمسها الناعم، أحطت خصرها الناحل بيدى الاخرى لاصقًا كفى على ظهرها كان جسدها يرتجف، بدأت حديثى:

ـ انتظرتك طويلاً بالكافيه ساعة الغداء ولم تأتى.

ـ كان لدى اجتماع مفاجىء فى العمل، ولقد أرسلت لك رسالة اعتذار.

ـ لم تصلنى، ربما كان جهازى فى حاجة إلى شحن. كنت أريد أن أعتذر لك، لأن المجلة لاتطلب الأن محررين جدد.

ـ لا تعتذر إنه كان مجرد سؤال، فابنة عمى تخرجت هذا العام وكنت أحاول أن أجد لها عملاً.

أخبرتنى بأن زوجها سافر إلى نيويورك للعمل، أصرت صديقتها بأن يأتيا بعض الوقت لتدخين الشيشة استفسرت منها عن سبب اختفائها من Bus Connector، أجابت بأنها كانت تقيم بصفة مؤقتة فى منزل

عائلة زوجها لإجراء اصلاحات فى منزلها ثم رجعت مرة أخرى إليه، لذا فهى تستقل المترو الآن نظرت فى عينى قائلة:

ـ علـى فكـرة أنا أمر مرتين فى اليوم من أمـام مبنى عملك لوجود محطة المترو بجواره.

كان قوامهـا الفاتن يتمايـل مع النغمات فى ليونة غصن زهر رقيق، اقتربـت حتى لفحتنى أنفاسـها السـاخنة أخـذت أرنو رويـدًا رويدًا إلى خدرهـا السوسـنى، أذوب فى جسـدها البـض اللين، يغرقنـى رحيقها الأنثـوى أفيق على ذعرهـا، ماذا تفعل؟.. ماذا تفعـل؟ كنت أعتصرها بيـن ذراعـى، أخليت سـبيلها متأسـفًا، تركتنى ورجعت مسـرعة إلى صديقتها، لحقت بها، كانتا يتأهبان للمغادرة، أعتذرت عما بدر منى مرة أخرى، هزت رأسها دون النظر إلى، غادرتا مسرعتين.

طـوال قيادتى لسـيارتى فـى طريق العـودة لمنزلى وأنـا أفكر عما اقترفته تجاه ميتاب، لقد تسرعت، لم يكن تصرفًا ذكيًا، أعلم أننى أريدها بشـدة، لكن ليس بهذه الطريقة ولا بهذه السـرعة، أين فطنتى ودهائـى معهن لكنى معـذور، بين يدى ملاك يراقصنـى، ألتصق به، أشـعر بأنفاسه تحرقنى شـوقًا، صوته الناعم يدغدغ مشاعرى، جسده الملبنى يثير غرائزى، من يقاوم كل هذا الإغراء.

بـدأت الأمطـار تهطل بغزارة، ركنت سـيارتى علـى جانب الطريق أخرجت الـ **Blackberry** وأخذت أخط لها رسالة.

"هـل تعرفيـن حكاية ذكر النحل الذى يعيـش حياته على أمل لقاء الملكـة لمـرة واحدة، ثـم بعدها يسـلم الـروح هكذا كان شـعورى عندمـا رأيتك، لم أصـدق أننى أحتضـن الملكة وأراقصهـا، انتابتنى نوبـة من النشـوة العارمة أحسسـت أننى أذوب أتلاشـى، أنـا واثق بأنك

ستتفهمين وتقدرين، لذا سأترقب قدومك غدًا فى الـ Lunch Time فى نفس المكان."

*****

جلست ميتاب على حافة فراشها، منهمكة فى قراءة إيميل نديم، نَحَّت الـ Laptop جانبًا، نظرت فى رسوم السجادة الشيرازى الصغيرة المعلقة أمامها وسرحت بعيدًا فى أشجار الصنوبر والطيور ذات الأجنحة الغريبة بألوانها الهادئة من الروز وزهر السفرجل.

"ماذا تريد منى أيها المصرى، أعترف بأنك تعجبنى بقوامك الرياضى وقسمات وجهك الفرعونية خاصة شفتيك الغليظتين، صوتك الرخيم الهادىء، كلماتك المعسولة، بؤبؤ عينيك، لكنى لا أريد حبيبًا بل أريد صديقًا ليكون مرآة لزوجى لأتبين من خلاله كيف يفكر، كيف يشك، كيف يحب، أريد أن أجمل حياتنا الزوجية، أعيد صياغتها بما يحب ويهوى من أجل المحافظة على عائلتى".

أتفاجأ بسمته يسد باب الحجرة، ينظر لى بعيون مرتابة، يصيح فى بصوت ممطوط أجش:

ـ تفاجأت بى، كنت تتوقعين أنى سأبيت بنيويورك.

أرد بصوت مرتعش:

ـ لأنك أخبرتنى بذلك.

ـ ولماذا تمكثين من الآن فى حجرة النوم، آه، تتهيئين لعشيقك يا عاهرة.

أرد عليه بصوت مرتعش:

ـ ماذا تقول؟ أنت مخمور كالعادة.

يندفع نحوى بخطوات غير متوازنة، يمسكنى من كلتا ذراعي، يدفعنى إلى السرير، يخلع ملابسه بهمجية

ـ لن أتركك تهنئين مع آخر يا داعرة، أنت لى، أنت ملكى.

يجثم بجسده فوقى ويباشرنى بمنتهى العنف.

"ممارسة الجنس معه منزوعة المتعة، مجرد احتكاك أبدان يشبه احتكاك حجرين لإشعال نار الرغبة بلا مشاعر أو أحاسيس، فى مرات كثيرة يقع على بوحشية وهو مخمور تمامًا ولا يعرف مع من يمارس، ودائمًا يشبع رغبته، ويتركنى متأججة، ودائمًا أتركه وأدخل الحمام حيث أنعم بلذة المياه القوية الدافئة تتدفق عبر مواضعى الحساسة".

*****

الصباح ينير السماء رغم الغيوم العابرة، خضرة الأشجار تزهو وتتجلى من أثر الأمطار المنهمرة منذ الأمس، هذا الطقس لم يمنع علا وجومانة اللتين أعتادتا على الذهاب إلى مركز السباحة القريب من منزل علا مرة كل أسبوع لممارسة الساونا والجاكوزى والسباحة لإزالة التوتر ومعاناة الأعباء المنزلية.

ترتدى جومانة مايوه من قطعة واحدة سماوى اللون، يشع منه جسدها الشاهق البياض، تهبط لحوض الجاكوزى فى انتظار علا التى ظهرت بعد عدة ثوانى قادمة فى مايوه شرعى بلون أسود يتكون من بنطلون لاصق على فخذيها والساقين وبلوزة طويلة تخفى حتى أسفل مؤخرتها، ترقبها جومانة فى سعادة، تقترب قادمة كناقة عربية، ترنو فى خطوات وئيدة فى شموخ ودلال بين عدة رجال يسترخون على مقاعدهم حول حمام السباحة، أخذ أحدهم يرمقها بإعجاب، عندما حاذته تلفظ بشىء جعلها تتعثر فى خطواتها، ابتسمت جومانة، استقبلتها قائلة:

ـ ماذا فعلت بالرجل؟

ـ إنه قليل الحياء، هل تعرفين ماذا قال؟

ـ لا أريد أن أعرف، ولكنك تعثرت فى خطواتك وهذا دليل على تأثرك بما قال.

ـ ماذا تقولين؟ وماذا فى مختلف أومثير؟ ألا ترين قوامى السيىء؟

ـ أنت آتية من بلاد ألف ليلة وليلة والحكايات الخرافية، أنت ذات جمال غامض يأسر من يراك .. أنت أسطورة .

" آه أسطورة، كلمة تدليل نديم لى، لا أنكر أنه ساعدنى على التصالح مع جسدى بعدما أصابته تشوهات ما بعد الحمل والرضاعة المتكررة، دائمًا يداعب نهدى بعد تهدلهما ومؤخرتى التى تضخمت، مباغتاته لى وأنا أعمل فى المطبخ باحتضانى وتقبيلى، لكن كل هذا لا يجعلنى أتخلص من شعورى بالارتياب نحوه بأنه يخوننى، ربما تدليله لى يجعل هذا الشعور يخفت لكنه لا يتلاشى".

ـ هاى، أين ذهبت؟

تغطس برأسها، ترتطم تيارات المياه المتضاربة بوجهها، تنعشها، تعيد صياغة ذهنها، ترفع رأسها تمسح بكلتا كفيها عينيها .

ـ تعلمين جومانة إننا يجب أن نعتمد على أنفسنا اعتمادًا كليًا .

ـ كيف تقولين أنت هذا الكلام، إنك تحولت مع نديم من فتاة إلى مؤسسة إنه يعتمد عليك فى كل شىء .

ـ لكنه فى يده زمام الأمور لأنه من يمول هذه المؤسسة .

ـ ماذا تقصدين؟

ـ يجب علينا جومانة أن نعتمد على أنفسنا ماديًا، أن يكون لدينا

استقلال يدعم حريتنا ، أنا أكره الشعور بالعبودية إلا لخالقى.

ـ كلامك منطقى، أعدك أن أفكر فى شىء نفعله معًا ، والآن أرجوك اصمتى ودعينا ننعم ببعض الاسترخاء.

*****

عندما أراها يتلاشى كل من حولها ، تصير هى المكان والزمان، وأتساءل هل لهذه الدرجة أريدها بشدة؟ الشعر المعقوص للخلف يترك براحًا لتألق الوجه الصبوح بعيونه الواسعة الساحرة، متأنقة فى تايير رمادى اللون يظهر مفاتن جسدها الرائع، تمسك بكلتا يديها كوب القهوة الساخن، عندما رأتنى ابتسمت لتشرق دنياى أجلس قبالتها ، أحدق فيها طويلاً ، تخجل وتطأطئ رأسها لأسفل:

ـ أعتذر لك عما حدث بالأمس، أعذرينى فأنت أفروديت الأغريق، فينوس الرومان، بل أنت كل آلهة جمال العالم مجتمعه.

ـ أرجوك، نديم لا داعى لهذه المجاملة كفى ما جاء فى رسالتك بالأمس.

ـ مجاملة ، أنت أعذب من سونيتات شكسبير والناى السحرى لموزارت، فطوبى لمن ينعم بهذا الجمال.

سمعت نهنهة خافتة ، رأيت دمعة منسالة على الخد الوردى، ناولتها منديلاً ورقيًا وأنا منزعج قرأت فى عينىّ انزعاجى، قالت بصوت خافت حزين:

ـ أنا بخير، إلا إننى محرومة من سماع تلك الكلمات الرقيقة العذبة.

ألا يسمعك زوجك مثلها؟ أنت تلهمين أى إنسان بأن يصير شاعرًا !!

ـ زوجى رجل عملى لأقصى حد ، الرومانسيه فى قاموسه ضعف لا يليق بالرجال .

انطلقت تحكى باسهاب عن معاناتها كزوجة كتب عليها أن تعيش مع رجل يخشى أن يظهر مشاعره لها يعاملها بخشونة على الدوام، لا يعطى لها أو لأولاده الكثير من أوقات فراغه، تشغله نزواته على الدوام لا تراه إلا على مائدة الطعام أو فى السرير عندما يحتاجها لتلبية رغباته. على الرغم من هذا فهو غيور جدًا عليها، لذا فهى حريصة ألايراها هو أو أحد معارفه، تتكلم أو تجلس مع أحد خارج عملها، لهذا تختار دائمًا الاماكن القصية فى الكافيهات بعيدًا عن العيون المتلصصة.

نظرت فى عينى مباشرة قائلة بصوت صادق:

ـ أرجوك نديم، أنا فى احتياج إلى صديق يمدنى بالنصح والخبرة فى تعاملى مع زوجى .

ـ أنا لم أعتد أن أكون صديقًا للجميلات بل عاشقًا لهن .

ـ إذن فلتجرب أن تصادقهن هذه المرة .

حدقت فى وجهها وبكل جرأة قلت:

ـ إنى أتمناك بشدة، أنت لا تعرفين ماذا فعلت بى منذ أن رأيتك؟

ـ أرجوك نديم سأغادر إذا استمريت .

أثنيتها عن المغادرة، مع وعدها بأنى سأحاول أن أكون صديقًا، ولخلق مصداقية أعطيتها أولى نصائحى لها بأن تتحلى بالشجاعة وتواجه زوجها وتصارحه فيما لا يعجبها فيه، ولكن يجب أن تختار الوقت المناسب لذلك، ابتسمت لى:

ـ ها قد بدأت تكون صديقًا .

استغليت رضاها ومددت يدى محتضنًا كفها قائلاً لها:

ـ لتتأكدى فقط بأننى أريد سعادتك حتى وإن كانت مع هذا

البغل الفارسى

ـ نديم يدك من فضلك نحن فى مكان عام

ـ إذن نذهب إلى مكان خاص

ـ أنت تحلم

قالتها وقامت، ترتدى معطفها وتلملم أغراضها استعدادًا للمغادرة، وقفنا عند باب الكافيه نرقب المطر المنهمر، خرجنا، حبات المطر تلمس وجهها فتزيده حسنًا. خدعتها النشرة الجوية فلم تعتمر قبعة تحمى شعرها أو تجلب شمسية معها، سعدت بتطويقها بذراعى مخبئًا شعرها الحريرى بكفى، مستمتعًا باحتوائها أوقفت لها سيارة أجرة، أوصلتها إليها، ووقفت أرقبها وهى تبتعد بها.

*****

طاف ببستان جبران العديد من الفراشات، حاول جاهدًا أن يقتنى إحداها ليس للزقها على إطار خشبى من أجل التمتع بألوانها الزاهية، بل لبث دفقات فيها من عواطفه النادرة وحبه الصافى لتجعلها تتنسم طلاوة الحرية التى تعشقها الفراشات، لكنه فشل، فمن حلا الضاهر إلى سلطانه تابت الأولى أبعدها شقيقها عنه والثانية حرمه الموت منها.

ليلتقى بالشاعرة جوزفين بيبودى أو بوزى كما أعتاد أن يدللها، أجزل لها مشاعر الحب إلا أنه بقى حبًا من طرفه فقط، ليترك نفسه لسحر باقة من الفراشات التى لمعت فى ضيائه، فمن إميلى ميشيل لشارلوت تلر ومن جرترود ستيرن إلى هيلانة غسطين، لمارى خورى ثم مارى قهوجى وغيرهن.

لكنهن لم يكن يبحثن عن الحب بمعانيه العميقة حتى يصلن إلى جوهره، بل ما يهمهن هى قشوره والارتواء من لذاته الزائلة، بل منهن

من كانت تخشى الحب مثل مى زيادة فيشجعها قائلاً:

"أتقولين أنك تخافين الحب لماذا يا صغيرتى أتخافين من نور الشمس، أتخافين من البحر، لا تخشى ما فيه من ألم وحنين فالحب فى الروح لا فى الجسم نعرفه كالخمر للوحى لا للسكر تعتصر"

فتن جبران بمارى هاسكل تلك الثرية الأمريكية التى غمرته برعايتها، فترسله إلى باريس ليحسن تقنياته وتعرفه على الأوساط الفنية فى بوسطن ونيويورك بل نقحت نصوصه الشعرية المكتوبة بالانجليزيه شعر جبران أنه وجد أخيرًا من يتفهم عواطفه النادرة ويعوضه حنان الأم، فوهبها لوحاته وعرض عليها الزواج لكنها تكسر قلبه وترفض لأسباب غامضة، كل هذه العلاقات الشائكة فى حياته ربت داخله شيئا من الريبة يجعله يقول لإحداهن:

"أحببتك بثقة واليوم أحبك بخشية، أحببتك كما لم أحب يومًا، غير أننى أخاف منك"

فلم ينجح جبران طيلة حياته فى اقتناء تلك الفراشة التى يبغاها لتشاركه صفاء الحب وجوهرة بل فارق دنيانا وهو يخشى أجنحة الفراش من خدش مشاعره.

كتبت آخر سطر وقفلته بنقطة، خرجت من الـ word وأنا أتنهد ارتياحًا لإنهائى جزءًا من موضوع جبران كم أنت نقى ونبيل أيها الإنسان النادر، وكم أتمنى أن أصير مثلك، ذكر نحل يذوب عشقا فى محراب ملكته لكننى للأسف ياسيدى أشبه بعشيقاتك ألهث مثلهن على قشور الحب ومفاتنه دون البحث عن لبه والتمتع بمعانيه الساميه، ما أبعدنا عن بعض ياشاعرى العظيم. يتناهى لسمعى رنة رسالة آتية، أفتحها بفارة التنقل يظهر اسم المرسل "ميتاب" أتلفت حولى باحثًا عن

مكان علا، فأنا أجلس على أريكة فى صدر حجرة المعيشة، أسمع صوتها تتحدث فى الهاتف من داخل المطبخ، اطمأننت وهرعت لفتح الرسالة .

"هاى نديم، كيف حالك، بالأمس شرعت فى تنفيذ نصيحتك لى بمجابهة نجاد بسلبياته إلا أنه فاجأنى بمعاملته اللطيفة معى و ودعانى إلى قضاء نهاية الأسبوع فى **Ocean City**، أشكرك ودامت صداقتنا".

ماذا تفعل هذه الجنية؟ إنها تحبه لدرجة أنه إذا أذاقها معسول الكلام نست الإساءة وأنست لوجوده وصحبته ولو لبعض الوقت، إنها تحاول الهروب من المجابهة وتستعيض عنها بالمسكنات التى سريعًا ما يتلاشى مفعولها ليعود الألم أشد فتكًا، ضغطت على **New** لخط رسالة .

"أنا سعيد لك بما حدث، أرجو لك التوفيق فى رحلتك وهى فرصة مناسبة لمفاتحته بما تريدين . الصديق المؤقت والعاشق الأبدى نديم"

ضغطت على **Send** لإرسالها.

يعلم الله أننى صادق فى نصيحتى لها من أجل سعادتها، لكن هذا لا يمنع أننى أشتهيها من كل قلبى .

أشعر بظل يعتم شاشة الـ **Laptop**، أرفع نظرى، أفاجأ بعلا تقف أمامى واضعة يديها فى وسطها وهى حركة أعرفها جيدًا، تنم عن مدى ضيقها وغضبها معًا، بحركة سريعة من أصبعى أخرج إلى **Desk Top** .

ـ حبيبتى ماذا بك؟

ـ بصوت عصبى غاضب:

ـ لا شىء سوى إننى أعد بعض الأطعمة المطلوبة منى، وأطهو شيئًا لنأكله، بالإضافة إلى ترتيب المنزل ومتابعة الأولاد، أما أنت فلديك برنامجك التى لا تحيد عنه أبدًا فمن العمل إلى الجيم للتدريب ساعات وكأنك ستدخل الأوليمبياد وإذا تواجدت بالمنزل الـ Lap top بين أحضانك لساعات.

أقف مسرعًا محتضنها، أهدىء من لواعجها وبصوت هامس فى أذنها.

ـ حبيبتى أنت تعلمين أننى أكمل عملى بالمنزل، ومع هذا أنا فى خدمتك ماذا تريدين منى؟

ـ الأولاد يريدون الذهاب لتدريب كرة السلة.

ـ حالاً، لكن لا تغضبى أرجوكى.

أداعبها، مدغدغًا، مقبلاً، حتى تلين وتبتسم.

*****

obeikandl.com

(٤)

فى يوم الأربعاء الموافق الرابع والعشرين من مايو عام ١٩٩١ ، وقف الرئيس الأميركى جورج بوش الأب وسط المحتفين بتدشين حديقة جبران خليل جبران التذكارية فى ٣١٠٠ بجادة ماساشوستس وكان الكونجرس الأمريكى فى عام ١٩٨٤ قد خصص قطعة أرض من ثمانية آلاف متر مربع بالعاصمة لوضع نصب تذكارى فيها لجبران وسط حديقة عامة تقديرًا لأدبه الذى أثرى المكتبات الأمريكية والعالمية بمؤلفاته القيمة والتى ترجمت لأكثر من خمسين لغة وبلغت مبيعاتها أرقامًا قياسية.

يتصدر المكان تمثال لرأس جبران الجامح الذى طالما ماج بالأفكار الفلسفية والشعرية ، يطوقها إكليل من أغصان التفاح والعنب ويحوم حولها ثلاث يمامات ، وتنساب المياه من تحتها وسط بركة مثمنة الأضلاع ذات أرض من حصى تذكرنا بسواقى قريته بشرى بلبنان ، يحيط النافورة ممر للمشاه ومن حولها فضاء من الزهر والعشب الأخضر ، يظلله شجر الحور والأرز ، ومقاعد حجرية متناثرة على متكئها خطت حكم وكنوز جبران ، فواحدة تقول "نعيش معًا لنكتشف الجمال ، كل ما عدا ذلك شكل من الانتظار" وأخرى "نستخرج عناصرك ، أيتها الأرض لنصنع بها مدافع وقنابل وأنت من عناصرنا تخلقين الأيك والورود".

جلس نديم على مقعد نقش عليه "الحياة بلا حرية ، جسد بدون روح والحرية بدون فكر ضياع" كان منكبًا يكتب عما تفيضه قريحته

عن شاعره المحبب لقلبه متنسمًا عبيره نظر قبالته لأشجار الأرز اتسعت حدقتا عينيه وهو يرى ثمرات جبران تتدلى من فروعها فها هو النبى، وهذا رمل وزبد، المجنون الأجنحة المتكسرة ... أنتشى وجدانيًا، ليفيق على صوت أقدام تقترب، يظهر أحد العجائز، جلس على أحد المقاعد الحجرية، بدأ يتصفح جريدته، نظر نديم فى ساعته، اقتربت من الثانية عشرة، هفت عليه رياح ميتاب لملم حاجياته وقام مغادرًا، خرج من الحديقة، ليستقل سيارة أجرة.

*****

حين جلست قبالته فى الكافيه، أخذ يحدق فى كعادته، لا أنكر استمتاعى بتحديقه فى طويلاً، كأننى أستمع للحن أثير إلى قلبى، خاصة عندما تغطى تحديقاته كامل جسدى فنحن النساء نعشق النظرات والإيماءات ولغة الإشارات.

أخبرنى عن نفسه كثيرًا، أخبرنى بأنه يتمتع بفحولة تكفى عشرين سيدة، وأنه مثل الحيوان المفترس يشم رائحة الأنوثة ويتعقبها حتى ينالها، عندها ارتعش جسدى، هبت فيه نيران مشتعلة، شعرت بأنه يعترينى أحسست بشىء عجيب يضاهى هزة الجماع، لكن فى نفس الوقت أغاظتنى جرأته وتباهيه بنفسه.

رددت عليه بحدة:

ـ كيف تجرؤ على خيانة زوجتك، يجب أن تتوقف عن النوم مع النساء فورًا.

ـ عندما تسلمين لى نفسك فسأتوب نهائيًا عن كافة علاقاتى.

ـ أنت تحلم، بل يجب أن تكف عن هذا الحلم.

ـ الحلم كالأكسجين للإنسان، تريدينى أن أموت، ثم لماذا

تعتبرينني خائنًا لزوجتى، المسألة كما أننا نحب تبادل الآراء والتجوال فى عقول بعضنا فلماذا لا نتجول فى أجسادنا أيضًا، إنها سياحة بدنية تعيد للذهن صفاءه وللجسد النشاط والحيوية.

ـ تبرير غير منطقى لرجل يعشق الخيانة، يجب أن تفيق وتتوقف.

ـ عندما تحاورينني بجسدك الغض سأكتفى به وأوقف كافة تحاوراتى الأخرى.

ـ لماذا تصر على إغضابى؟ قلت لك أنا أحتاج إلى صديق.

ـ لكنى سأعيش على أمل، فدائمًا الصداقة تتحول إلى حب أما الحب فلا يتحول إلى صداقة.

أحس بملامح الغضب البادية على وجهى، اعتذر وطلب أن ننهى الحوار، ودعانى إلى التنزه فى الحديقة النباتية، نظرت فى ساعتى، وافقت فما زال أمامنا أكثر من نصف الساعة والحديقة قريبة بجانب الكابيتول.

سرنا جنبًا لجنب فى الشارع، استنشقت عطره الفواح، ملامساته المفاجئة لى والتى يكسبها العفوية ودون القصد إلا أنها تنبه أحاسيسى، تجعلنى أضعف، أصير رخوة لا تحتمل المقاومة، جال بخاطرى البيت الزجاجى العملاق المسمى الحديقة النباتية بأشجاره الإستوائية العملاقة وتساءلت إلى أين أنا ذاهبة؟ إنه المكان المثالى للعشاق لما به من أماكن هادئة خالية تمامًا من البشر، فكيف سأتصرف معه؟ وأنا أرى فى عينيه الرغبة بل أشمها فى أنفاسه.

وقفت فجأة متعللة أنى نسيت أن أجلب معطفى من محل التنظيف، وقبل أن يعرض على مصاحبتى أشرت لسيارة أجرة، وقبل أن يفيق من مفاجأة تصرفى استقليت السيارة.

*****

طوال طريق عودتى إلى عملى وأنا أفكر فى تصرف ميتاب المفاجىء، هل خافت أن تصاحبنى إلى الحديقة النباتية؟ أم أنها صادقة فى إدعائها؟ آه ميتاب مازلت تستعصى على ولكننى أرى فى عينيك فيضانًا من الإعجاب الممزوج بتمنى الاستسلام .

دلف من بوابة مبنى عمله، توجه إلى الاستقبال، وجد الشاب الجديد ذا النظرات العدائية، بدا مختلفًا أصبح حليق الرأس تمامًا، وقف فى مواجهته وجه كلامه له:

ـ هل جاء طرد اليوم باسمى؟

لم يرد عليه، بل أشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى، عندها لمح نديم الصليب المعقوف رمز النازية الموشوم على جانب رقبته، فهم لماذا كل هذه النظرات العدائية والتجاهل فهذا الرمز يعبر الآن عن النازية الجديدة التى تحتقر الأقليات. صاح نديم فيه بغضب:

ـ ألا تسمعنى أيها الأصم؟

أسرع أحد زملائه بالتدخل لإنقاذ الموقف، وقف بينه وبين نديم وبصوت مهذب:

ـ مستر نديم لم يصل اليوم أى طرود باسمك .

ـ ألا ترى هذا الأحمق كيف يعاملنى؟ إنه يجب أن يعاقب .

يخرج الرجل من وراء الحاجز ويتأسف من جديد لنديم ويصحبه إلى باب المصعد، أخبره بأنه بالفعل قيد التحقيق معه لمثل هذه التصرفات، هدأ نديم، نظر له فوجده مازال يحدق فيه بعدوانية.

*****

انتهت علا من كى بعض قمصان نديم، أخذت تهندمها وترصها فوق بعضها بعناية، حملتهم إلى حجرة النوم فتحت خزانة ملابسه،

قمصانه المعلقة، مازال يعلق بها بقايا رائحته .

"كم أحبه وأهواه، كم أعشقه عندما يحتوينى بنظراته، عند التهامه شفتىّ، لحظة دفنه لرأسه بين ثدييى عندها أشعر بأنه منى، حين يضمنى ويعتصرنى أحس بأنه يعيد شحنى بأبجديات العشق.

يوم تقدم لخطبتى وافقت فورًا، قوامه الممشوق، شخصيته الآثرة، كلامه المنمق بمنمنمات الغرام جعلونى طيعة، مسحورة بشذى فارس أحلامى تشبثت به، نصحتنى أختى بأننى سوف أعانى، فانه أمامه الكثير ليبنى نفسه، أجبتها بأننى مستعدة لهذه المعاناة، عندها نظرت فى عينى قائلة:

ـ هل أحببته .

ـ نعم .

ـ لا يكفى بل يجب أن تغرقى وتفقدى عقلك فى حبه، يجب أن يتفشى فى أرجائك، عندها فقط يمكنك دفعه إلى الأمام، لا تغارى من ماضيه فأنت مستقبله، لا تغارى من عائلته وأصدقائه فأنت قبيلته كونى متعته الدائمة وواحة راحته، كونى عالمه وما تقع عليه عيناه.

آه يا أختاه، لقد غرقت وجننت وتفشيت فى حبه ولم أهنأ، لم أغار من ماضيه لكنى خائفة على مستقبلى أحفزه وأشجعه دائمًا على الخروج مع أصدقائه ولكنى لا أجده، منذ البداية عرفت أنه مفتون بجنسنا الناعم دائمًا كانت هواجسى تخبرنى بأن هناك أخريات تشاركنى فيه، لكن بصورة عابرة، نزوات وقتية ما تبرح وأن تتلاشى سريعًا، لكن هذه الأيام أشعر بأن الوضع مختلف، تصرفاته تعلن ذلك، اهتمامه الزائد بطقوسه الرياضية والاعتناء بلياقته، صبغته

لخصلات الشعر البيضاء، استخدامه لعدسات لاصقة بدلاً من العدسات الزجاجية، الاهتمام بمظهره وتأنقه الزائد أمام المرآة وكأنه عارض أزياء، أوقاته الكثيرة أمام الـ Laptop بحجة العمل، ربما ليست أدلة دامغة على شكوكى ولكنه احساس المرأة الذى لا يخطىء يصرخ فى قائلاً أن هناك أخرى فى حياته.

*****

دخل نديم مكتب خوسية ثائرًا، يرغى ويزبد، نظر له خوسيه:

ـ ماذا بك؟

ـ هذا العنصرى الحقير الذى يعمل بالأمن ذلك المدعو جون ويلكس.

لم يجعله خوسيه يكمل بانفجاره فى الضحك.

ـ أتضحك !!

ـ إننى أضحك على سخريات القدر فأنا أعرف اثنين ذكرا على صفحات التاريخ بنفس الاسم جون ويلكس بوث الممثل الذى اغتال إبراهام لينكولن، ونائب مجلس العموم البريطانى جون ويلكس الذى كان معروفًا عنه عهره الفاضح ومظهره القبيح.

ـ إنه لا يختلف عنهما كثيرًا.

ـ المهم لا تشغل بالك به، سوف يرحل قريبًا، لقد أخبرت رؤساءه بمعاملته السيئة لمعظم الناس.

ـ وهل عاملك مثلى؟

ـ نديم أنا لاتينى أى أقل من الجنس الآرى الذى يقدسوه.

ـ أنا غير مصدق أن العنصرية لم تنته خاصة فى مجتمع متقدم

كالمجتمع الأمريكى .

- العنصرية نديم لم تمت أو تنقرض ربما خفتت حدتها ، لكنها موجودة ، ألم يصادفك نظرة احتقار من سيد لخادم ، ألم تنظر أنت باستعلاء لأبناء المدن الجنوبية لدرجة أنهم يقولون أنه كلما اتجهت شمالاً ارتقيت ، فمازلت أسير فى الشارع وأسمع لفظة نجرو تصف أحد الأمريكان الأفارقة أو لفظة داجو للتصغير من شأن أمثالى أصحاب الجنس اللاتينى ، العنصرية سيدى فى دمنا فى جيناتنا وما يجعلها تخمد هو مدى ما وصل إليه الفرد من سمو الأخلاق.
- لكن نحن فى العالم الأول الذى هو رمز التقدم والحضارة .
- عزيزى ألم تسمع مقولة أن العالم الثالث يسعى حثيثًا للخلف ليصبح العالم الرابع بينما العالم الأول يسعى كما يظن للأمام نحو موقع الصفر على الأقل روحيًا وأخلاقيًا .
- لكنى مازلت متعجبًا من مجتمع ينادى ويتشدق بالحريات ونبذ التعصب ، يترعرع فيه كيانات عنصرية مثل النازية الجديدة وغيرها.
- هذه الكيانات خاصة النازية الجديدة قد فهمت أصول اللعبة ، فمنذ وجودهم فى الخمسينيات تحت مسمى الحزب النازى الأمريكى وفشلهم فى الاستيلاء على أرضية جعلهم يستوعبون الدرس من اليهود وهو هيمنتهم على جزء من الكعكة التجارية والإعلامية ، لدرجة أننا الآن يجب أن نضيف مصطلح النازيين الجدد إلى مصطلحات حواراتنا السياسية مثل اللوبى الصهيونى والمحافظين الجدد واليمين المسيحى وغيرها فهم فى الواقع يديرون جزءًا لا بأس به من اللعبة السياسية والتجارية فى العالم ومنها يأملون فى احتلال مواقع اتخاذ القرار.

ـ ومـا العمل، هل الاستسـلام حتى يصل هـؤلاء إلى تحقيق مآربهم ونجد العنصرية قد رجعت لسابق عهدها من قوة وجبروت .

ـ القاعـدة التى يعيش عليها الناس فـى الولايات المتحدة وغيرها من بلـدان العالم الأول، أنهم يلتقون ولكنهم لا يتلاقون، إن آلة الحياة تسحقهم تحت تروسها، وعلاج ذلك هو بث جرعة أخلاق وحب فى عضل العلاقات بين الناس عن طريق مناهج التعليم ووسائل الإعلام وغيرهـا مـن مؤثـرات الحيـاة وإلا بقى النـاس بمثابة قنبلـة موقوتة مهددة بالانفجار، ناشرة شظاياها من رجعية وعنصرية وتعصب فى أرجاء المعمورة .

تنهد خوسيه وأشعل غليونه، أخذ منه عدة أنفاس ثم قال:

ـ المهم أين وصلت فى كتابتك عن خليل جبران؟

"لا تعرف خوسيه ماذا فعل بى هذا الرجل، منذ أن درسته فى المرحلة الثانويـة وسـحرنى دفء كلماته وطلاوة شـعره، لم أتـرك كتابًا له أو عنـه إلا وابتعتـه وقرأته بنهم ثم أعيد قراءته من جديد بنفس الحماسـة والمتعـة، صدق بورخيـس حين قال ثمة لذة أخرى أهـم من القراءة هى إعـادة القـراءة . فكتابـة جبران تجـد فيها مبتغاك ومـا تبحث عنه من شعر ونثر موسيقى وفلسفة ألوان ورسوم، تجد فيها الصبر و الحكمة، المسـيح ومحمد، صخب البحر وغمـوض المحيط، كنت كلما أقرأ نصـا يشـجينى أغلق الكتـاب وأنظر إلـى وجهه المصبوغ بالسـكينة والصفاء كالقديسين، تشربت أفكاره وتشبعت ملامحه . كنت أمام المـرآة كثيـرًا ما ألمحه يحتـل ملامحى، اليوم فى حديقته شـعرت به يطوف حولى يدنو منى يهمس فى أذنى " الحب مصدر السـعادة والنور، هـو الخبـز المقدس الذى يغذى الروح ويحـرر ويرفع، ولا يجوز أن يقيد

فهو أقوى من الشـرائح هو أقوى من الموت لأنه سـر الحياة المتجددة "
ابتسـم لى وأشـار بيده بعيدًا حيث كان يقف شـبحان اقتربت فوضحا
سمت علا وميتاب يلوحان لى".

أفقت من خيالاتى على يد خوسيه تلوح لى:

ـ هاى نديم أين ذهبت؟

ـ لا تؤاخذنى، أحب أن أطمئنك بأنى قطعت شوطًا لا بأس به فى موضوعه.

قلتها ووقفت مودعًا إياه، غادرت مكتبه ومازال بى مس جبران الطاغى.

*****

جلسـت ميتاب على فوتيه مريح بحجرة نومهـا، بعدما نام أطفالها،
وزوجها كعادته خارج المنزل وضعت الـ Laptop على فخذيها وشرعت
بالعمل، تناولت كوب النسـكافيه من علـى منضدة صغيرة بجانبها،
أخذت رشفة، سرحت بنظرها إلى نقوش السجادة العجمى التى تنبسط
على مسـاحة الحجرة، تذكرت براعتها فى معرفة أنواع السـجاد فهى
عملت لسـنوات مسـاعدة لأبيهـا فى اسـتيراد وتجارة السـجاد بأنواعه
المختلفة حتى أصبحت بمجرد مايقع نظرها على نقوش وألوان سـجادة
فسرعان ماتحدد من أى فصيل تنتمى.

تاهت عيناها فى عقد السـجادة العجمـى التى تمتاز بكثرة عقدها
التـى تصـل إلـى أكثر مـن مليون عقـده، فكلمـا زادت العقـد زادت
نعومتها .

"كم تشـبهينى أيتها السـجادة، فمن يراك يفتح فاه دهشـة من روعة
رسـوماتك وألوانك، لكن من يدقق النظر فى نقوشـك سيقف مشدوهًا
أمـام مـدى تعقدك، فمن يصدق أن الحب الكبيـر بينى وبين نجاد الذى
فاح عبيره فى المرحلة الثانوية واستمر سنوات طوال ينتهى بحياة تعسة.

ـ إنه لا يصلح لك، ألا ترين كيف يعامل والديه بخشونة؟

آه كم كنت حكيمًا يا أبى، اتهمتك وقتها بأنك لا تريد سعادتى.

أتتركين عائلتك وتذهبين مع عائلته بعيدًا عن بوسطن مدينتك التى تربيت ونشأت بها؟

اتهمتك بأنك لا يهمك سوى تجارتك والخوف عليها بعد رحيلى .

رنين وصول رسالة على الـ Laptop يفيقها، تفتحها، كانت من نديم، تقرأها

"أتعلمين أن اسمك بداية أبجديات الكون، فى عيونك العسلية آلاف الأشجار المثمرة، فى صوتك الناعم تسابيح الكروان، أعلمى بأننى سأجعل من أيامى نهرًا من عاطفة لتسبحى بها، اعلمى إننى أسجد للخالق ليل نهار وفى قلبى نداء صوفى بأن تكونى حبيبتى طول العمر"

أعلم نديم ماذا تريد منى؟ إنك ترغب بشدة فى ضمى إلى باقتك التى تتباهى بنيلك منها، لكنى لن أخون لن أحول خرافات زوجى لحقيقة، لن أنضم نديم لحبات مسبحتك الملعونة، أنت للأسف لا تدرى أهميتك فى حياتى، أنت بوصلتى، مرشدى، لكنك لا تقدر ذلك.

تواصل الضغط على مشاعرى، تعبث بعواطفى كإعصار جامح وأنا نبتة ضعيفة لا تقوى على الصمود أمام فيضان مفرداتك المعسولة.

*****

منزل جان يقع فى نفس الحى الذى أقيم فيه، يبعد عنه مسافة خمس عشرة دقيقة بالسيارة، منزله عبارة عن فيلا مكونة من طابقين يحيطها حديقة مشجرة ومن الخلف حمام سباحة، ورثها جان عن عمه ملحم الرجل الذى رباه بعدما هاجر به من لبنان عام ١٩٧٧ وعمره اثنا

عشـر عامًـا ، كان هو كل من بقى من عائلته التـى فقدها عن بكرة أبيهـا فى الحرب الأهلية اللبنانية ، التى دامت سـتة عشـر عامًا من عام ١٩٧٥ إلـى عام ١٩٩٠ قام عمه بتربيته حتى تخرجه فى كلية الهندسـة ثـم ورث أعمالـه فى مجـال المقاولات ورغم أن جان عـاش معظم عمره فى الولايات المتحدة ، إلا أنه لم يتكيف طوال هذه السـنوات مع بيئته الجديـدة وظلت ذكرياته المؤلمة عـن فقده عائلته تؤرقه حتى ترجمت إلى شعور بالرهبة والخوف مما هو آت ثم تطور هذا الشعور إلى احساس بفقـد هويتـه الأم وعدم اقتناعه بأمريكيته فـى نفس الوقت ، بل وصل الأمـر إلـى تجاهل زوجتـه التى تذكـره بأرضه الأم التى سـلبته عائلته لكـن لتفهم جومانه حالته تقف بجانبه بقوة وتعامله بحساسـية مرهفة حتى يستطيع تخطى حاجزه النفسى بسلام.

لسنوات طويلة رفض جان فكرة أن يذهب لطبيب نفسى على الرغم مـن أن حالتـه تعرف فى علـم النفس بـ Homesickness الحنين للوطن ويسـهل علاجها ، ويعرفها علم النفس بأنها شعور بالضيق والعجز سببه الانفصـال العقلى عن البيئة التى ينشـأ ويتربى فيها الإنسـان ، فيشـعر بغربة قاتلة تسحقه بأيدى القلق والاكتئاب بدون مبرر واضح.

أتذكـر فى نفـس الوقت من العام الماضى اسـتدعتنى جومانه لأنه كان فى حالة يرثى لها ، دخلت عليه وجدته يجلس أمام النافذة ومبسم الشيشـة فى فمه ، متأملاً تسـاقط أوراق الشـجر وكيـف يتلاعب بها الهواء العاصف نظر لى قائلاً بصوت خافت:

ـ أنا مثل هذه الأوراق الضائعة التى فقدت أمها ، تتلاعب دوامات الهواء بها حتى تسقطها أرضًا لتطأها قدم باطشة لتنهى وجودها.

تعلـم نديم برغم أمريكيتى إلا أننى أشـعر بأنـه لا وطن لى ، مجرد

ضال، تائه، فأمريكا ليست بوتقة كبلدك مصر تنصهر فيها الأجناس من الهكسوس إلى الإنجليز بل هى مجرد أرض لا تصهرك فيها ولا تحررك منها، إنها أرض مسحورة تشعر فيها بأن وجودك مؤقت وأنك ستعود حتمًا لوطنك الأم فى يوم من الأيام ولكنك لا تستطيع فراقها وتوصم بهذا الشعور حتى مماتك.

أخبرته أن الشعور بالغربة قاس، ولكن هناك الكثير من شعوبنا يعانون الغربة فى أوطانهم ووسط أهاليهم وهذا أقسى، جان نحن نعيش فى أوطاننا مواطنين من الدرجة الثالثة، بعد الأجانب والأغنياء مسلوبى الحقوق والحرية بل والحياة وأمامك عيد زوج أخت علا، عندما عرضوا عليه العمل مهندس بترول فى الخليج كمصرى رفض لعلمه بأنه سيعامل كعبد يتحكم فيه كفيل، أما عندما عرضوا عليه القدوم كأمريكى وافق على الفور، لأنه يعلم أنه سيعامل كخبير عالمى، جان انسَ أن لك تاريخًا وماضيًا يكفيك أن تعيش حاضرك. عند سماعه هذه الجملة، وقف مذعورًا كمن لدغه عقرب وصاح فى بغضب جم.

ـ من لا تاريخ له لا حاضر له .

ثم نظر فى عينى وقال بصوت مهزوم

ـ الوطن غالٍ، غالٍ .

بدأ يترنح تلقفته بين ذراعى، سامعًا نهنهته على كتفى ثم أجهش فى بكاء مر، ليفقد الوعى على أثره. نقلناه إلى المستشفى ومكث بها أسبوعين يعالج من انهيار عصبى .

اليوم دخلت عليه، كان مسترخيًا فى حجرة المعيشة يستمع إلى صوت فيروز يصدح، بادرنى:

ـ جومانه اتصلت بك، لا تنف .

أومأت له برأسى موافقًا .

ـ هى تخشى على أن أنهار كالعام الماضى، لكنى أؤكد لكم أنى بخير.

يصمت وينصت إلى صوت فيروز، بعد عدة ثوان عاود النظر الى، رأيت غرغرة الدموع فى مقلتيه قال بصوت محشرج:

ـ ألا تشتاق لمصر؟

ـ النيل، الناس الطيبة، الشمس المشرقة، الزحمة، طبعًا .

ـ شجر الأرز، الزيتون، الشوارع، البيوت، رائحة الجبل، الربوع الخضراء .

ـ يجب أن تسافر لتراها جان.

ـ لا أستطيع، هناك مانع يحول بينى وبينها، يمنعنى حتى من مجرد ذكر اسمها .

ـ ألم تخفف عنك السنين ما حدث؟

ـ كيف؟ هل أنسى أبى وأمى وأخوتى؟ منزلنا ذا الأربعة طوابق وحديقته الوارفة، يومها رجعنا أنا وعمى من رحلة الصيد وجدناه كومة من الأحجار والغبار الدامى، أشلاءهم دفنت تحت الانقاض لا جنازة لا كنيسة لا تراتيل لا شموع لا معزين فقط العراء، تلحفت يد عمى واختبأت فى ظله أسرعت أرجلنا الرحيل، هرولت، تسابقت لصعود سلم البراق للهرب من الخراب من جهنم الحمراء.

ـ أحمد ربك أن عمك ملحم كان معك .

ـ عمى .. حتى عمى تركنى ورحل .

ـ أنت لن تتخلص من هذا الشعور إلا بسفرك لبلدك ولاسيما أنها عادت أفضل من الماضى .

أخذ يتنهد فى ضيق ثم قال بحزن:

ـ إنه السكون الذى يسبق العاصفة، إننى أرى حربًا جديدة تلوح فى الأفق، لا تأمن نديم لبلد ينقسم إلى أكثر من عشرين طائفة وكل طائفة تسيطر عليها مجموعة من العشائر تتوارث نفوذها وتعمل من أجل مصالحها فقط، ناهيك عن مصالح الدول المتضاربة، فسوريا لا تنسَ أننا كنا جزءًا منها إسرائيل لا تقبل أن تموت عطشًا ونحن نرمى مياه نهر الليطانى بالبحر، وإيران تريد تواجدًا فى المنطقة من خلال حزب الله، وباقى دول المنطقة تريدها مركزًا لغسيل أموالها واستثماراتها بلا نفوذ.

*****

استقليت سيارتى، وأنا أفكر فى جان ومعاناته، لكنى حمدت الله أنه متماسك هذه المرة ولم ينهار كسابقتها الـ Blackberry يعلن قدوم رسالة، كانت من متياب مقتضبة للغاية "أراك غدًا فى الكافيه لا تتأخر"

الى متى أمضى طوال هذه الفترة فى لمسات محتالة للنهد، وضربات خاطفة على الأرداف، إلى متى ستطول تلك الأفعال الصبيانية، أشتاق أن أراها عارية أن أحاصرها، أحتلها، لكن ليس هذا فقط ما تنزع إليه نفسى، إننى أشتاق لالتحاف روحها مثل جسدها لا أعرف ماذا فعلت بى تلك الفارسية؟ إن مشاعرى تجاهها غير قادر على التحكم فيها كزلزال مدمر يدفننى داخله.

أصبحت مسـكونًا بطيفها ، تجلس بجوارى فى المترو ، تشاركنى كوب القهوة فى الكافيه ، تومض صورتها على شاشـة الحاسوب ، بل بـدأت تتراءى لـى فى حجرة نومى ، ألهذه الدرجة تمكن شـذاها منى؟ وعلا ، هل وهن حبها فى قلبى ، أم بهتت صورتها فى عقلى؟

لا .. لا .. علا هى ملاذى ، سـكنى ، أم أولادى ، أنا لا أتخيل حياتى بدونها . ماذا تفعله بى عواطفى ؟

أحب علا وأهوى ميتاب ، أعنى يا الله .

*****

obeikandl.com

(٥)

منطقة Mall Area المتاخمة لمنطقة الكابيتول هيل والتى تضم مجمعًا ضخمًا من الحدائق العامة والنصب التذكارية، ويقع فيها معظم متاحف العاصمة، مثل إدارة الوثائق الوطنية والمحفوظات التى تحتوى على وثيقة الاستقلال، و مجموعة المتاحف التابعة لمؤسسة سميث سونيان SmithSonian Institution وهى مؤسسة تعليمية بحثية تمولها وتديرها الحكومة تأسست عام ١٩٤٦، ومن أشهر متاحفها متحف التاريخ الطبيعى الذى يضم أكثر من مائة وخمس وعشرين عينة من النباتات والمعادن والصخور والنيازك ويضم نخبة كبيرة من علماء الطبيعة المحترفين، ومتحف التاريخ والتكنولوجيا الامريكى ويعرض فيه التاريخ الاجتماعى والثقافى والعلمى والسياسى والعسكرى والتكنولوجى للولايات المتحدة والمتحف البريدى الوطنى الذى يضم آلاف الوثائق والطوابع على مدار تاريخ الخدمة البريدية فى البلاد والمتحف الوطنى للفضاء الذى يزوره سنويًا أكثر من ستة ملايين زائر ويحكى التاريخ الأمريكى فى الطيران وغزو الفضاء، وتمتاز أغلب متاحف الولايات المتحدة عن باقى متاحف العالم بأن دخولها مجان.

ومن أشهر متاحف العاصمة، المتحف الوطنى للفنون National Gallery of Art والذى تعمل به جيسيكا هوفمان وهو يقع بين الشارعين الثالث والسابع شمال غرب طريق الدستور Constitution Ave. . يزور المتحف سنويًا أكثر من خمسة ملايين زائر، ويضم آلاف التحف

واللوحات الفنية من كافة المدارس والعصور، ولقد أنشىء عام ١٩٢٨ على يد أندرو ميلون كفكرة، وتبناها الكونجرس الأمريكى وافتتح رسميًا فى عام ١٩٣٨ وملحق بالمتحف أماكن للاستراحة منها **Grand Café Francais** وهى بقعة هادئة لتناول الغذاء حيث يقدم مأكولات فرنسية عالية المذاق.

دلف نديم من بوابة المتحف لملاقاة جيسيكا حيث أخبرته أنها تعمل يوم عطلتها لفحص بعض الوثائق النادرة دخل مكتبها، وجدها تجلس منكفئه على عملها، استقبلته بابتسامة، قامت من مقعدها محتضناه طابعة على شفتيه قبلة سريعة، بصوت هامس قال فى أذنها:

ـ لم أرك الإثنين السابق لراحتك الشهرية وهذا الإثنين أنت فى المتحف، إنى أشتاق إليك.

تلفت حوله مسترسلاً:

ـ جيسى ألا يوجد هنا حجرة لاستراحتك؟

ـ أيها المخادع، كفى تلاعبًا بغرائزى فأنا أيضًا أشتاق إليك.

يلمح على مكتبها بحثًا خط عليه "رمسيس الثانى فرعون موسى" يمسكه نديم، يقلب فيه، يعبس وجهه يتركه وهو يتمتم بصوت خافت، تلاحظ عبوس وجهه:

ـ ماذا بك؟ أراك قد تضايقت من البحث.

ـ الى متى تستمد الخرافات عبر الأيام صفة الواقعية وتصير حقائق دامغة.

ـ وماالذى لا يعجبك فيه؟

ـ لا تستفزينى جيسيكا.

"أنا أعلم جيدًا أسلوبها عندما تريد أن تستخرج منى ما تريد معرفته، تحاول استفزازى، حاولت ألا أنساق وراء استفزازها لولا ابتسامتها التهكمية المرسومة على وجهها جعلت ما بداخلى يفور وينفجر بلسان ما قرأته فى عشرات الكتب التاريخية والباحثة فى ذلك الموضوع".

أخبرتها بصوت هادىء قدر استطاعتى بأن موضوع رمسيس الثانى فرعون موسى ما هو إلا كذبة وفرية صهيونية هدفها وصم المصريين بجريمة تعذيب بنى اسرائيل وللأسف فإن علماءنا من مفسرى كتابنا المقدس انجرفوا وراء هذه الاسرائيليات ونقلوا عنها دون تحليل ليخلقوا ساترًا فولاذيًا حموا به تلك الافتراءات واختاروا أعظم ملوك مصر رمسيس الثانى ليشوهوه، بل حاولوا بطريق الخديعة أن يخرجوا مومياته من مصر بادعاء اصابتها بالبكتريا والطفيليات إلى فرنسا فى عام ١٩٧٦ للعلاج، ليذهب موشى ديان لزيارة المومياء سرًا، يقف أمامها، ويداعب باستخفاف قدمها بعصا المارشالية مخاطبًا إياها "أخرجتنا من مصرأحياء وأخرجناك منها ميتًا" أين حرمة الموت؟

ـ أرجوك جيسى اسمعى منى بعقلك المتفتح المستنير لتلك الأدلة الدامغة بأن فرعون موسى ما هو إلا رجل من قومه وأن فرعون هو اسم عَلم وليس لقبًا.

إن الكتب السماوية الثلاثة تقر بأن كل رسول أرسل لقومه خاصة وبلسانهم، إذن فموسى عليه السلام نزل فى أهله الذين كانوا يعيشون فى كنف الاحتلال الهكسوسى لمصر، يؤكد كلامى مؤرخهم يوسيفوس عندما ذكر أن بنى اسرائيل دخلوا مصر فى زمن الاحتلال الهكسوسى لمصر وهذا ما أكده أيضًا المؤرخ زينون كاسيدوفسكى".

تقاطعنى جيسى:

ـ ولكن كيف تثبت لى أنّ فرعون اسم لرجل من قوم موسى؟

لأن كلمة فرعون لم يأت ذكرها فى القرآن معرفة بالألف واللام آداة التعريف فى العربية بل دائمًا ما تذكر نكرة مما يدل على أنه اسم عَلم، ثم جاء ذكرها مصحوبًا لشخصين من الأعلام هما هامان وقارون، كذلك لم يأت ذكرها جمعًا على غرار ملوك أو أمراء لأن أسماء الأعلام لا تجمع.

تقاطعنى مرة أخرى:

ـ نديم أنت تأتينى بأدلة من كتابك المقدس أنت وليس كتابى أنا.

ـ معك حق سأورد لك حالاً أدلة من التوراة، تعلمين بأن أنبياء الله إبراهيم ويعقوب ويوسف جاءوا أرض مصر وعاصروا حكامها إلا أن كتابك لم يطلق على أى منهم لقب فرعون، بل أطلق عليه لقب الملك أو عزيز مصر، ثم جاء ذكر فرعون موسى كاسم علم فى التوراة فى الاصحاح ١١ الخروج ٦ " فرعون ملك مصر" فى الاصحاح ١٣ الخروج ٧ "واشتد قلب فرعون" وأنت تعلمين أنه كان لابد للتوراة من ذكر اسم الملك الذى اضطهد اليهود، وليس من المعقول أن يأتى ذكره مفخمًا بذكر لقبه، لاسيما أن التوراة ذكرت ملوك آخرين لمصر بأسمائهم أقل أهمية من فرعون موسى مثل نخاو وشيشنق.

أتوقف لحظة، أرى فى عينيها شغفًا واهتمامًا بما أقوله، تهز رأسها لحثى على الاسترسال.

الأهم جيسى بأن اسم فرعون أصله عربى ومنتشر حتى الآن فى

السعودية واليمن ثم لماذا نتجاهل بأن اسم فرعون قد تحول إلى لقب لكل ديكتاتور فأطلق المؤرخون اسمه على كل ملوك العماليق وهو أمر شائع فى التاريخ أن يتحول اسم عَلم إلى لقب مثل كسرى حاكم الفرس تحول اسمه إلى لقب لكل ملوك الفرس من بعده ويوليوس قيصر حاكم الرومان والنجاشى فى الحبشة.

ثم نأتى إلى حقيقة أخرى دامغة بأن فرعون موسى كان لا ينجب بدليل تبنيه لموسى فترة طويلة ، أما رمسيس الثانى فقد تزوج من ثمانى نساء وأنجب أكثر من مائة وخمسين ابنًا نقشت أسماؤهم على جدران معبد الرمسيوم ثم أن رمسيس حكم مصر سبعة وستين عامًا وظل يحكم حتى أصبح فى الرابعة والتسعين فكيف فى هذا العمر يقود عجلته الحربية ويطارد اليهود فى هذه السن الطاعنة.

قامت جيسيكا مقتربة منى قائلة :

ـ حبيبى من الواضح أنك قرأت كثيرًا فى هذا الموضوع ولديك فيه حججٌ منطقية ، فلماذا لا تكتبه فى مجلتك .

ـ سيأتى يوم يسمحون لى بكتابته .

الآن هيا بنا فأنا أدعوك على الغداء ، ما رأيك فى شريحة لحم مطهية على الطريقة الفرنسية .

لا مانع ولكنى قبلها أريد أن أفتح شهيتى بقبلة على الطريقة الفرنسية.

قلتها وهجمت عليها أقبلها بنهم.

*****

أوقفت علا سيارتها فى ساحة انتظار سوبر ماركت Wegmans الذى يبعد عن منزلها مسافة ثلاثين دقيقة على الطريق السريع ، ترجلت

هى وجومانة من السيارة .

"كم أحب هذا المحل لرقيه فى ديكوراته ومعروضاته، بالأمس أخبرتنى جومانة بأنها قرأت أنه يقوم بحملة للتشجيع على فقد السعرات الحرارية من خلال نصائح لأطباء متواجدين بفروع المحل يشرحون لرواده أنواع الحميات، يذكرنى هذا بمبادرته فى عام ٢٠٠٨ عندما امتنع عن بيع منتجات التبغ وقدم لموظفيه برامج للمساعدة على التوقف عن التدخين .

توجهنا إلى ركن الأطعمة ذات السعرات الحرارية المنخفضة، وجدنا بعض الرواد ملتفين حول أحد الأطباء الذى كان يتحدث فيهم بحماسة:

ـ أخيرًا أفضل أنواع الحميات هو رجيم السعرات المنخفضة حيث تعتمد على تناول عدد من السعرات الحرارية التى تقل عن احتياج الجسم بحوالى ٥٠٠ سعر تقريبًا، معتمدًا على جدول دقيق لمعرفة سعرات كل صنف من المواد الغذائية ويمكنكم أخذ هذا الجدول الآن . اختتم حديثه وشرع يوزعه على الحضور، تناولت جومانة جدول ومالت على قائلة:

ـ إنها معلومات مفيدة ياعلا ولكننا لم نلحق كلامه من البداية.

جومانة هذا يكفى، لقد سمعت الخلاصة، هيا بنا الآن لنأكل.

نظرت لى باستغراب:

ـ ماذا ؟ والرجيم .

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

تضاحكنا، ودخلنا إلى المطعم الملحق بالمحل، جلست قبالتها على المائدة، أخذت أمعن النظر فى جمالها الذابل، بدا وجهها يكتم غضبًا جمًا، يصرخ فى نطاق اللبانة التى تلوكها فى فمها بعصبية

بالغة، يخطر ببالى عدم اقتراب جان منها لفترة طويلة، أعرف بأن هذا يسقمها، يحرق أعصابها، يجعلها شاحبة، يغرقها فى داخل شلالات من السأم والرتابة التى تقرض أطراف عمرها، يسجنها داخل تيه معقد يبتلع حياتها الزوجية، ابتسمت لها.

ـ لم يحدث جديد بينك وبين جان؟

هزت رأسها نفيًا طفقت دمعتان ثم تنهدت قائلة بصوت حزين:

ـ لقد تحولت إلى إمرأة خط فوق جبينها أن تعيش بلا سعادة، تعرفين ماذا يحزننى أكثر، شعوره بالذنب، لذا فهو يأخذ على عاتقه أن يريحنى ويوفر لى أنا والأولاد أى شيء بمجرد التفكير فيه وما يعذبنى ويتعسنى أكثر عندما ألمح فى عينيه نظرات الاستعطاف المستجدية للصبر.

ـ ولماذا لا تشجعيه وتكسرى حاجز خوفه من الاقتراب منك؟

ـ لقد حاولت كثيرًا، لكنى توقفت عندما رأيت ما ينتابه من ضيق كلما حاولت، علا، أنت تعلمين كم أحبه وأحاول مساعدته لتجاوز محنته لذا فإننى الآن أكتفى بالطرق غير المباشرة مثل التحول إلى صديق يشاركه الحوار أحيانًا ويتجاهله أحيانًا حتى لا أزيد من شعوره بالذنب وجلد الذات.

ـ كم أنت عظيمة جومانة.

ـ عظيمة !! إننى أصبحت إنسانة متبلدة المشاعر، نسيت أننى أنثى إننى قاربت أن أتحول إلى تمثال رخامى يقف فى بهو حديقتنا تحط على كتفيه الطيور فلا تجد نفسًا دفئًا أو جسدًا حيًا.

قالت الجملة الأخيرة، وأجهشت فى البكاء، مما جعلنى أنتقل إلى جوارها، أحتضنها:

فعلاً الرجال تقتلهن الكراهية والنساء يقتلهن الحب .

تشبثت بى وهى تنهنه فقلت لها مداعبة :

ـ جومانة ، كفى أرجوك العيون تبحلق بنا سيتصورون أننا مثليين.

ضحكت وراق وجهها بعض الشىء استرسلت وأنا أفتح قائمة الطعام .

ـ ها ، ماذا ستأكلين؟

*****

جاء صوتها عبر الهاتف يخبرنى بأنها تعتذر عن لقائى فى الـ Lunch Time ، لذهابها إلى محل Victoria's Secret لشراء لانجيرى لنفسها ، إنتشى جسدى رغبة فيها عند سماعى كلمة لانجيرى ، أطلقت لخيالى العنان متمتعًا بخبايا جسدها الغض ، أصَررت على مصاحبتها قائلاً ، من حقى أن أشارك اختيار ملابسك ، قالت لكنها ملابسى الداخلية ، رددت عليها بأننى رجل وأعلم الألوان التى تثير الرجال ، خاصة وإننى خبير بأسرارها فالأزرق مثلاً يهدىء الأعصاب والأحمر يثير العواطف والأخضر رمز المحبة والأصفر غيره والأبيض صفاء والبنفسجى حنان ، قاطعتنى ، لكنه يحب اللون الأسود ، آه لون الغموض والسحر ، لون يقلل من أبعاد المسافات.

قلت بصوت حازم: اسمعى سأصطحبك مهما كلفنى الأمر.

قابلتها أمام المحل ، استقبلتنى يابتسامة قائلة :

ـ أنت عنيد ، لماذا اصرارك على مصاحبتى؟

ـ لأرى ، هل ما تخفيه أجمل مما تظهريه .

ـ ماذا !! أتتصور أنك سترانى عارية .

ـ ومن قال عارية، بل بملابسك الداخلية، مثلما تنزلين البحر أمام أعين الناس بالمايوه البكينى .

ـ البحر مكان عام .

ـ والمحل مكان عام، ميتاب إننى سأشاهدك فقط دون لمس .

ـ نديم أنت مجنون .

دخلنا المحل اتجهنا إلى قسم الانجيرى، آلاف الأطقم المعلقة والمرصوصة على الأرفف بكل ألوان الطيف بأقمشة متنوعة من الحرير والستان المطعم بالدانتيل والبعض مرصع بالستراس أو نقشات ورسومات مختلفة وأخرى سادة .

أخذت تقلب وتنتقى فيما هو معلق وبين الأرفف، نظرت لى قائلة:

ـ نديم إننى أشعر بالحرج أرجوك ابتعد.

ابتعدت عنها عدة أمتار متصنعًا الانشغال بمشاهدة قسم العطور، بعد فترة رأيتها تختار طقمًا أسودًا من الدانتيل الشفاف وآخر أحمر من الحرير، حملتهم واتجهت إلى حجرة القياس، انتظرت عدة دقائق، ثم اقتربت بهدوء شديد من حجرة القياس وأنا أحلم بمشاهدتها عارية، تملكتنى ألاعيب الشهوة، مددت يدى بوجل، أدرت مقبض الباب ببطء، وبسرعة خاطفة فتحته ودخلت، كانت تقف أمام المرآة كما ولدتها أمها الشعر الحريرى ينسدل على الأكتاف المرمرية، ينساب الجسد بضيق حتى الخصر ليتسع مع تداوير المؤخرة الرائعة، فخذان ملفوفان بحكمة وساقان ممتلئان بفتنة، قبل أن تستدير، طوقتها بذراعى محتضنها من الخلف لثمت رقبتها بشفتى، صاحت بصوت ناعم، لا يا نديم أرجوك، حبب كامل جسدها نشوة ضغطت بكفى على ثدييها، اعتصرتهما صدرت منها آهة تلذذ، هبطت إحدى كفاى إلى دلتاها، لكنها استدارت فجأة مخلصة نفسها

مـن حصارى، صائحة بغضب جارف فى وجهى، كفى .. كفى، وبسـرعة خاطفة رفعت يدها وصفعتنى بقوة، استشـطت غضبًا، اصطكت أسـنانى فـى محاولـة لكظم غيظـى، أردت أن أرد الصفعة بأقوى منهـا أو أوجه لها لكمة تطيح بجمال وجهها، تمالكت حنقى أمسـكتها من كلتا ذراعيها بقوة صحت فيها بصوت مكتوم بغيظه: لماذا فعلت هذا؟ لماذا ؟ ثم تركتها وأنسحبت مسرعًا، خارجًا من المحل .

سـرت فـى الشـارع عائدًا إلـى عملى متسـائلاً لمـاذا تصرفت بهذا الشـكل الغريـب؟ فهـى وافقت علـى مرافقتى لها وهى تعلـم فى قرارة نفسـها أننى أتحرق شوقًا لنيلها، ما الذى أستفزها لدرجة صفعى؟ لقد شـعرت بمـدى تمتعها بملامسـتى لهـا . أم أنها تختبـر رد فعلى وتترقب هل سـأعاملها بقسوة مثل زوجها؟ لا أعرف كيف أعامل تلك الفارسية الغامضة ؟

*****

المرة الخامسة التى يمد فيها نديم يده ليكتم رنين الهاتف، عندما يرى أن المتصل ميتاب، تصله رسالة منها يقرأها " آسفة، أرجوك تقبل اعتذارى" قرأها وأغلق الهاتف .

دخـل إلـى بهو مجلته سـار فى الدهليـز المؤدى إلـى مكتبه، جاءه صوت جانيت تناديه:

ـ هاى يا عربى .

وقف نديم، دخل مكتبها وبصوت غاضب:

ـ لا تسـتفزينى جانيـت بالتهكم على بنى جنسـى فأنت لا تعرفين قدرهم .

ـ مـن قـال إننى أتهكم أنا أناديك ببنى جنسـك، أنـت من تريد أن

تتنصل من أصلك .

ـ أنت مخبولة ، أنا لى كل الفخر بأن أنتمى إلى العرب ، هلى تعلمين مدى اسهاماتهم فى الحضارة الانسانية عبر عصور طويلة . أو أكلمك بمنطقك البراجماتى الذى تؤمنين به وأذكرك بما ساهم به الأمريكان العرب فى حضارتك التى تتباهين بها ، لقد وصلوا لأعلى المراتب فى دولتك ، مثل جون هـ. سينونو رئيس هيئة العاملين بالبيت الأبيض فى عهد جورج بوش ووزيرة الصحة دونا شلالا فى عهد بيل كلينتون ووزير الطاقة سبنسر إبراهام فى عهد جورج دبليو بوش وفى الأدب من تتشدقين بانتمائه لأمريكا خليل جبران والأديبة السورية منى سمبسون وشقيقها ستيف جوبز رئيس شركة آبل ماكنتوش والمفكر إدوارد سعيد والحائز على نوبل فى الفيزياء أحمد زويل والجيولوجى فاروق الباز الذى ساهم فى التخطيط لكافة رحلات أبوللو إلى القمر حتى فى المجال الفنى فمن ينسى المطربين بول أنكا وبولا أبدول والممثلين إبراهام موراى وتونى شلهوب والناشط السياسى والمرشح للرئاسة رالف نادر ، انهم كثر جانيت ومرموقون فى مجتمعك لكنهم للأسف يعانون من سوء الفهم خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر والإعلام يصورهم كباقى الأقليات بشكل سلبى برغم أنهم يشكلون قوى لا يستهان بها فى مجتمعك.

تستمر فى تهكمها قائلة :

ـ نعم فهؤلاء من تتباهى بهم من بنى جنسك قطفوا ثمار ما زرعه أجدادى بدمائهم .

ـ ومن ينكر كفاح الأفارقة الأمريكان من أجل إرساء المساواة

والمشاركة فى بناء حضارة هذه البلاد لكن يجب أن تعرفى أن العرب قد شاركوا أيضًا فى البناء فأول الهجرات العربية لأمريكا كانت عام ١٨٨٠ من عائلات شامية ، أتعرفين أن من أشهر المهاجرين العرب لأمريكا رجل سورى يدعى الحاج على جاء إلى أمريكا عام ١٨٥٦ لمساعدة الجيش الأمريكى على استخدام الجمال فى عمليات النقل عبر الصحراء بين تكساس وسان دييجو بكاليفورنيا ، جاء مصطحبًا معه ثلاثة وثلاثين جملاً وهناك لوحة تذكارية لهذا الرجل فى ولاية أريزونا ونقش على قبره عبارة "معاون أمين حكومة الولايات المتحدة طوال ثلاثين عامًا".

يزداد تهكمها :

ـ واضح من ارتباط العرب بالجمل آلاف السنين فتعلموا منه كيف يهادنون ويصبرون ويصبرون ثم يبركون .

نظرت لها بغيظ فقلت ساخرًا :

ـ أتعلمين جانيت أن هذا المبنى الذى تجلسين فى أحد مكاتبه الواسعة على مقعدك الوثير ، كان من مائة عام مولاً تجاريًا ضخمًا ، وكان يحرم على الهنود الحمر والصينيين وبنى جنسك من أن يمروا فقط من أمامه ، لذا وجب عليك أن تترحمى على إبراهام لينكولن الذى حرر أجدادك من العبودية .

ـ أنت حقير.

كالعادة استطاع نديم أن يثير غضبها ، فقامت من وراء مكتبها مسرعة لتلحق به وهى تصيح فيه :

ـ قف يا وغد يا أفاق .

*****

فى الثلاثة أيام التالية لخلافه مع ميتاب لم يذهب نديم إلى الكافيه فى موعد الـ Lunch Time وفى اليوم الرابع كان يجلس فى مكتبه بالمجلة، طرق الباب، انفرج عن سمتها فى تايير كحلى، يطل وجهها بابتسامة مشرقة، أخذته المفاجأة فلم يقم من مقعده، جلست قبالته، أخذا ينظران لبعضهما فى صمت، بعد عدة ثوان قالت دلال:

ـ ألن ترحب بى؟

ـ أهلاً بك فى كل وقت .

ـ كيف وأنت لا ترد على مكالماتى ورسائلى، حتى إنك توقفت عن المجىء إلى الكافيه .

نظرت إلى وجنته مسترسلة:

ـ مازالت تؤلمك؟

ـ لولا أننى أحترم المرأة لكنت الآن فى المستشفى .

ـ لا تنسَ ماذا فعلت؟

ـ لا تنسى أنت أننى رجل لا يستطيع كبح جماح شهوته وهو يرى أمامه جسدًا عاريًا كل إنش فيه تدعوك لإلتهامه وتريدنى أقف كصنم بلا مشاعر.

ـ أرجوك نديم، توقف أنا لا أريد سماع المزيد .

قالتها وقامت، وقفت بجوارى، انحنت على، ابتلع شعرها وجهى، تنشقت رائحة جسدها الفواح بعطر الفانيليا، فى لحظات تحورت أعضائى وأحاسيسى واختزلت فى وجنتى، عندما لامستها شفتاها الناعمتان كالقطيفة، شعرت بشلالات من الرغبة تجرفنى داخلها، تناهى لى صوتها يخترق أذنىّ كقيثارة مغوية:

ـ أظن هذه القبلة تنهى خلافنا.

مددت يدى أمسك خصرها فى محاولة لإحتضانها، تخلصت من يدى مسرعة:

ـ أنت لا فائدة منك.

ـ وأنت لا تضحكين على بقبلة أخوية، أنا أريدها فرنسية ألتهم فيها شفتيك يذوب فيها لسانك فى فمى.

أمسكت حقيبتها وهى تهم بالمغادرة:

ـ أنت تحلم، لكنى أوعدك بإرسالى لك الصورة التى تمنيتها كثيرًا منى.

ـ بالبكينى طبعًا.

ـ مازلت تحلم، لكن أعدك بأنها ستلاقى إعجابك.

قالتها وأغلقت الباب وراءها.

*****

أنساب ماء الدش بغزارة على جسدى، نظرت فى المرآة وأنا أضغط على قطعة الإسفنج ليسيل السائل الصابونى على سائر جسدى، مدغدغًا مشاعرى، منعشًا ذاكرتى بما فعله بى نديم بحجرة القياس، عندما شعرت بجسده يلتصق بى وطوق بيده خصرى ارتعشت، لحظة احتواء صدره كامل جسدى حبست أنفاسى وعند احساسى بصلابة شهوته تسحق مؤخرتى، أغمضت عينىّ نشوى، ولما بدأت يداه تضغط على نهدىّ دمعت عيناى لذة، أخذت أضم فخذاى شاعرة بالانتشاء، لكن عندما بدأ كفه يغادر نهدى ويهبط إلى دلتاى عندها استشطت غضبًا، أحسست بأننى أقهر بأننى أحتل تطؤنى أقدام غاشمة، لا أعرف لماذا صفعته؟

obeikandl.com

فى غيابه عنى لمدة ثلاثة أيام امتلكتنى الكآبة، شعرت بأننى بلا روح، أختفى تلألؤ عينىّ، نزع من صوتى نبرة البهجة التى تكسوه.

واليوم عندما جلست أمامه، كنت أهرب بنظراتى بعيدًا عن عينيه الواثقة المشعة بفرحة الانتصار بعودتى لا أنكر زقزقة آلاف الطيور التى كانت تغرد بداخلى وأنا أرى ابتسامته ونظرته الشقية قد عادت تحدق فى بشهوانية، أخذت أنا الأخرى أحدق فيه بجرأة وأتلذذ لسماع صوته الذى يحمل أطنانًا من مشاعر الحب والرغبة معًا.

آه يا ربى لمَ كل هذا الاهتمام به، إننى قبل أن أقابله أتوه أمام خزانة ملابسى أرتدى وأغير يرهقنى التردد أمام عطورى أيهم أنثره على كامل جسدى، هل أكسو شفتى بلون نارى أم هادىء، هل أرفع شعرى أم أتركه منسدلاً، لا إنها أمور عادية دائمًا تشغل أى امرأة، إننى أحبه كصديق، نعم كصديق، فأنا أحب زوجته أيضًا وكثيرًا ما أشجعه على تدليلها ومداعبتها، لم أغار أبدًا منها.

كفى كذبًا، كفى فأنا أحبه فعلاً وأغار عليه من أى شىء يلامسه، يعصف بى الألم عندما يحكى لى عن غرامياته المتعددة، آه نديم لقد قاومت كثيرًا، ولكنك تنداح كمياه المحيط تغمرنى، تحتل أشيائى، ذكرياتى لم أعد أملك المقاومة، لم أعد أملك إلا أن أحبك، أركض إليك كل ثانية بقدر ما أتوق إلى الهرب منك، آه يا ربى أعنى على هذا الجنون. ألفُ جسدى بمنشفة، أخرج من الحمام، أجد نجاد يخلع ملابسه، أقابله بفتور يقترب منى، يحاول ملامستى، أنفر منه، يصيح في:

ـ ماذا دهاك؟

ـ ألا تعلم ماذا فعلت؟

أجلب من حقيبة يدى مظروفًا وأناوله إياه قائلة:

ـ أين ذهبت نقودنا ؟ أين ذهبت مدخرات أولادنا ؟ إن كشف الحساب يقول أن رصيدنا صفر.

ـ لقد سحبت النقود للدخول فى مشروع .

ـ أى مشروع؟ لعب القمار، أنت ستدمر هذه العائلة، ستضيعنا .

صرخ فى وجهى:

ـ إخرسى يا عاهرة.

وفى لحظة خاطفة تناول إحدى التحف من على الكومود وقذفها فى اتجاه رأسى، تفاديتها بأعجوبة، أقف مذهولة من تصرفه، أصيح فيه:

ـ أنت مجنون .. مجنون .

يقترب منى مستعطفًا:

أرجوك ميتاب، أنا لا أقصد، أنت أستفزتينى، سأرجع النقود وسأعوض خسارتى .

يحتضنى مجهشًا فى البكاء، بينما أنا أقف غارقة فى ذهولى، ربما من تطور انفعالاته وتصرفاته معى التى تجاوزت السب إلى مد اليد أو ربما من إنهياره بهذا الشكل الذى لم أره من قبل، لا أعرف ما على أن أفعله هل أنهره وأزجره أم أربت على كتفه مواسية.

*****

تلفت نديم حوله محددًا، اطمأن على وجود علا فى المطبخ، أخذ يتأمل الصورة الظاهرة على شاشة الـ **Laptop**، أريكة من غاب البامبو بنية اللون أحيطت جوانبها بتكايا ملونة، استلقت ميتاب عليها بقميص نوم وردى طرز حوافه بالدانتيل، ينساب شعرها مرسلاً فى لون الليل،

ووجهها الفاتن المشرق ينير الصورة تستند بذراعها وراء رأسها ، وذراعها الآخر ينام بفتنة على فخذها ، بينما يلتف ساقاها العاريتان بدلال على بعضهما . يحيلنى طلاء أظافر قدميها الأحمر إلى فيتشى مهووس بجمال قدميها الرقيقتين، ابتسمت عندما قرأت تعليقها

"ها قد أوفيت بوعدى، أليست جديرة بالنشر فى مجلتك، أريد معرفة رأيك . إلى اللقاء نديم" معها كل الحق فالصورة كأنها لوحة زيتية تنتمى إلى مدرسة الأورينتال من القرن التاسع عشر .

أطلقت علا صرخة مدوية ، بطريقة آلية ، أطبق الـ Laptop ، نحاه جانبًا ، وقام مسرعًا يستجلى صراخ علا ، دخل المطبخ وجدها تقف فى بركة من الدقيق المنثور حولها ، بادرته:

ـ كل شىء يعاكسنى اليوم، لا بأس سأعتنى أنا بالوضع، لكن أرجوك نديم أسرع لتأتى بالأولاد من التدريب لأنه قارب على الانتهاء.

تناول نديم مفاتيح سيارته وخرج مسرعًا ، بينما أخذت علا تنظف المطبخ ثم خرجت ترتب غرفة المعيشة لفت انتباهها النور الأحمر المنبعث من الـ Laptop نديم وهى علامة احتياجه للشحن، اقتربت من الجهاز وجدته مواربًا رفعت شاشته أحتلتها صورة لإمرأة جميلة مستلقية على أريكة ، قرأت الكلمات المزيلة الصورة ، انقبض قلبها ، جثت على ركبتيها ، حازتها ، تمعنت فى الصورة من جديد. تمتمت إنها صارخة الجمال، قرأت عنوان المرسل، تدعى ميتى أو ربما هو اختصار لإسمها ، بدأت تعيد قراءة ما خط أسفل الصورة بروية ، هذه الصورة إفاء بوعد ، تريد رأيه ، كتبت اسمه أى يعرفها ، والى اللقاء أى إنه يراها شكوكى فى محلها إنه يعرف أخرى، تنهمر دموع عينيها ،

تمسح دموعها ، تجر ساقيها إلى حجرة نومها تقف أمام المرآة ، بمريلة المطبخ وشعرها المهوش ، أخذت تتحسس جسدها ، ثمة دهون متخفية فى أنحاء كثيرة منه ربما وجهى مازال يحتفظ بنضارته . تنظر إلى شعرها تتألم عندما تلاحظ بذوره البيضاء التى تنتشر على حدود فروته ، إحدى جينات أبى ، أحيانًا تأتينا الجينات بما لا نحب ممن نحب ، تجلس على حافة الفراش الآن أعرف لماذا لا يفرق معه ما صار إليه شكلى ، لأن لديه البديل ، وأى بديل إنها ملكة جمال أما أنا فقد تخليت عن كل شىء طموحاتى ، أحلامى ، جمالى ، من أجل حبى وهاهو يتبخر من بين يدىّ .

كيف أتصرف ، هل أواجهه سيكون لديه مائة سبب للإنكار ، أخبر جومانة ، أستأنس برأيها فهى صديقتى الوحيدة هنا ، بل هى ما بقى من عائلتى بعد سفر أختى بعيدًا ، أعنى يا ربى . وضعت رأسها بين كفيها واخذت تبكى بحرقة .

*****

obeikandl.com

(٦)

المتحف المائى الوطنى National Aquarium ، أو حوض السمك كما يطلق عليه الأمريكان، يقع فى الطابق الأرضى من مبنى هربرت سى هوفر، مقر وزارة التجارة، وينسب المبنى للرئيس الحادى والثلاثين للبلاد، ربما لأنه شغل منصب وزير التجارة من قبل، والمبنى يقع بالقرب من البيت الأبيض . وحوض السمك، حوض زجاجى عملاق يحتوى على أكثر من مائتين وخمسين نوعًا من الأسماك والبرمائيات من أشهرها أسماك القرش والأنقليس الكهربائى والأخطبوط العملاق وأسماك البيرانيه وفرس النهر والتمساح الأمريكى وتبلغ الجولة حوله خمسًا وأربعين دقيقة، ولقد أُنْشِئَ عام ١٩٣٢.

أخذ نديم يبحث داخل أروقة الحوض عن ميتاب، لا يعينه فى ذلك الضوء الخافت، وجدها أخيرا تقف تراقب أسماك القرش، أضواء الحوض تنعكس على جسدها لتجسمه وتبرز مفاتنه .

اقتربت منها بهدوء، وبصوت خاطف:

ـ احذرى .

قلتها وأحتضنتها من الخلف، أطلقت صرخة مكتومة، التفتت لى:

ـ أنت مجنون، لقد أخفتنى .

ـ ألا ترين أن القرش فى حالة هياج من جسدك الفائر، إنه على وشك اختراق الزجاج والتهامك .

ـ أنت مهرج .

كان صوتها يشوبه سحابة حزن وعيناها تكسوهما نظرة أسى .

ـ ماذا بك؟

أخبرتنى بما حدث من زوجها ، وأنها تفادت فازة خزفية كادت أن تصيب وجهها بعاهة مستديمة ، وهى تواجهه بضياع نقودهم فى لعب القمار ، وأنه انهار واعتذر لها. انفعلت عليها ناصحًا بأنها كان يجب أن تتخذ موقفًا حاسمًا ، قالت:

ـ ماذا كنت تريد أن أبلغ البوليس ليقبضوا عليه أمام أولاده ، أتريدنى أن أهدم أسرتى؟

أوضحت لها أننى أريدها أن تجابه مشاكلها بشجاعة ، إنها بالأمس تفادت فازة ربما اليوم أو غدًا ينجح فى إصابتها أو قتلها عندها ستنهدم أسرتها ، أفهمتها إن ما أريده منها أن تستمر فى مواجهته بأفعاله حتى يرتدع لا تجعليه يشعر بأنه نجح فى إرهابك . أخذت تراقب سمك القرش وهو يسبح بتؤده ، خففت من حدة حديثى قائلاً :

ـ أتحبين سمك القرش؟

ـ نعم أحب فيه القوة ، ترى كيف يسبح فى المياه بثقة بلا خوف.

ـ ميتاب ليس هناك كائن على وجه الخليقة لا يخاف ، فالخوف غريزة زرعها الله فى مخلوقاته ليحد من نوازعها الجامحة ، لكن يجب أن نعترف بأن القرش مخلوق فريد من نوعه ، فمثلاً هو لا ينام ولا يمرض .

استدارت لمواجهتى قائلة باستغراب:

ـ لا ينام أعرفها ، لكن كيف لا يمرض؟

ـ إنه يفرز من جسمه مضادات حيوية طبيعية تحافظ على سلامته.

استغليت خلو المكان من حولنا ورجعت خطوة للخلف بسرعة راسمًا على وجهى علامات الفزع صائحًا فيها

ـ احذرى انه قادم .

هذه المرة أطلقت صرخة مدوية وارتمت على أثرها بين ذراعى، كان جسدها ساخنًا برغم برودة الجو أطبقت عليها بذراعى .

بصوت متهدج ممزوج باستطابة ما يحدث قالت:

ـ نديم ماذا تفعل؟

نظرت فى عينيها العسليتين، كانتا تعبران عما يجيش فى وجدانها فالعين فاضحة، فهى العضو الوحيد فى الانسان الخارج عن سيطرته، حدقتا عينيها تتسعان، تحدقان بنهم فى شفتىّ، ألمح ارتعاشة خفيفة فى شفتيها تنادينى بأن أقبلها، اقتربت شفتاى تبحث عن ملاذها، لامست شفتيها، كان لهما طعم الكراميل عثت فيهما فوضوية مستمتعًا بشهد رضابها، شعرت أنها تقبلنى بروحها ووجدانها. لحظتها دعيت من قلبى لهذا العبقرى الذى اخترع القبلة فقد قدم للإنسانية أروع السلوكيات العاطفية، فتقبيل الشفاه لفترة غير قصيرة بشكل ناعم ولمس أطراف الفم باللسان، ثم تتدرج القبلة بالتهام الشفاه ومداعبة اللسان، إنه فعل يذيب المسافات ويظهر الحب الجارف والعاطفة الجياشة بين المحبين.

وضعت كفيها على صدرى، ودفعتنى إلى الخلف قائلة بصوت مصبوغ بالهيام:

ـ أنت لا فائدة منك، ماذا تريد أن أقطع علاقتى بك؟

قالتها وسارت مبتعدة، حاولت اللحاق بها، أشارت لى بيدها قائلة:

ـ أرجوك اتركنى لوحدى الآن .

وقفت أرقبها وهى تبتعد ، كان خطوها متعثرًا ، فما زالت تحت تأثير خدر القبلة ، فالنساء تعتبر القبلة معاشرة كاملة فمنهن من تستمتع بها أكثر من الجماع .

*****

ربما المسألة كلها لا تتعدى الشك منك كالعادة .

هكذا بادرتنى جومانة لتهدىء من انفعالى ، لكنى أخبرتها بأننى كنت أشك قبل رؤيتى الصورة أما الآن أنا موقنة تمامًا من أن هناك أخرى فى حياته ، تهدج صوتى من أثر بكائى .

هدأت من سرعة السيارة وهى تقول:

ـ لهذا لم أجعلك تمكثين فى المنزل وأصريت أن نخرج .

أوقفت السيارة فى Park محل Macy>s قائلة:

ـ هيا إلى التسوق واحكى لى عما يشقيك يا عمرى .

نظرت لها فى مودة وحب فهى بالرغم مما يعتريها من حزن وألم من علاقتها بجان إلا أنها تسير بجوارى ممشوقة القوام يتبارى نهدها المشرئب فى شق طريقها مبديةً سعادة زائفة لتخفف من معاناتى ، هبت ريح طار معها ديل فستانها القصير كاشفًا عن فخذيها ، تلصصت العيون ، ارتعشت أهدابها ثم تراخت فى خجل وهى تهبط ذيل فستانها بيديها ، قلت لها ، لو أفصحت عيون الرجال لجردتنا من ثيابنا ، إن هؤلاء الخبثاء لا ينظرون إلى شكل شعورنا أو سحر عيوننا أو جمال رموشنا ، بل ما يلفت انتباههم بشدة تلك المناطق المثيرة من أجسادنا خاصة ما يظهر منها على غرة .

ـ أنت متحاملة عليهم جدًا .

جر كل منا عربة لشراء احتياجاتنا المنزلية ، أخذنا نتمشى بين

الأرفف الحبلى بالبضائع .

ـ علا ، ما قرائنك على أن هناك أخرى فى حياة نديم؟

زادت عصبيتى وأنا أخبرها بأن الحكى بيننا أصبح قليلاً ، الخروج معا أصبح نادرًا ، اهتمامه بنفسه رياضيًا وقوفه أمام المرآة للتأنق أشياء جديدة عليه ، اعتراضه على روتينيات الحياة ، فهو لا يريد أى التزام أو قيد يريد أن يكون حرًا طليقًا طوال الوقت ، أنت تعلمين بأن الجنس مع العشرة يصبح أجمل لأنها تولد المعرفة والانسجام وتفتح أبوابًا من اللذة والمتعة اللانهائية ، كل هذا تلاشى بيننا ، العلاقة أصبحت واجبًا يؤديه بدون مشاعر ، ألا يكفيك ذلك كله ليؤكد ظهور نجم آخر يلف حوله هذا الكوكب المدعو نديم ، أنت لم ترى الصورة إنها ملكة جمال. تعلمين اننى أفكر جديا فى استئجار تحرى خاص ليراقبه.

ـ ما هذا الجنون ، وبافتراض تأكدك من خيانته ، هل ستستسلمين للأمر الواقع وتتركينه لغيرك بهذه البساطة؟

بصوت ملهوف لمعرفة الطريق والملاذ قلت:

ـ وماذا عساى أن أفعل؟

يجب أن تحاربى من أجل بقاء أسرتك .

وبشوق من يبحث عن طوق نجاه قلت:

ـ كيف؟

ـ أولاً يجب أن تعتنى بمظهرك وجمالك أكثر من ذلك ، بل يجب أن تشعرى أنت بأنوثتك قبله.

أشارت بيدها ناحية فاترينات التزين مسترسلة :

ـ هيا أرينى كيف تتزين المرأة الشرقية .

اقتربت من الفاترينات، كانت تعج بعشرات الأنواع من أدوات الزينة، أشعر بأننى مجرد ربة منزل ساذجة لا تجيد غير غسل الأوانى، وكى الملابس، ترتيب الأثاث وطهى الطعام. بيد مرتعشة حررت شعرى المعقوص، تناولت قلم الكحل مسحت به على نهايات عينى، مررت بفرشاة البودرة على وجنتىّ، عقصت رموشى بالمسكرة، أحلت شفتىَ إلى بوتقة نار ملتهبة بأحمر الشفاه، أمسكت طلاء الأظافر ومنديلاً ورقيًا وأخذت ألون أظافرى بالأحمر القانى، استدرت لجومانة، صاحت:

ـ هكذا تكون الأسطورة.

أحكمت حول خصرى البلوفر، وسرت أتمايل أمامها وأنا أفكر فى شكل تدويرة مؤخرتى هل تتراقص بما يكفى؟ جاءتنى الإجابة من أعين الرجال المستمتعة بالمشهد، اكتسى صوتى بنبرة حزينة وأنا أقول لها:

ـ ليعلم نديم أن من السهل إثارة الرجال

أردت أن أثبت لنفسى أننى مازلت مشتهاه، يمكننى أن أغوى أى رجل فى أى وقت، دمعت عيناى، أخذت أبكى بحرقة، كلما تذكرت صورة تلك المرأة، حللت البلوفر من حول خصرى، هدأت جومانة من روعى كفكفت دموعى بيديها، نظرت فى عينى قائلة بصوت حنون:

ـ ماذا بك؟ لا تكونى ضعيفة هكذا، أنا معك لا تخشى شيئًا، الخطوة الثانية أننا سنذهب إلى جمعية المرأة والأسرة، لقد أفادتنى فى حالتى مع جان وسوف تفيدك أنت أيضًا فى حالتك.

*****

جلست ميتاب فى عملها، أمامها شاشة الـ Laptop، تتراقص

كلمات نديم أمام عينيها ، تبتسم وهى تعيد قراءتها .

"ترسل نبضات قلبى اشارات ضوئية ، لو أجليت شفرتها ستكتشفين إنها كلمة واحدة يرددها قلبى دون هوادة (أحبك) نعم أحبك ، لا تتجاهلى الحقيقة فأنت أيضًا تحبيننى بل تتمنينى ، لا تنكرى فعيونك تفضحك"

"ملحوظة : لن أعتذر عن القبلة فهى أمنية كانت غالية تحققت وأرجو أن تكون الباب للولوج إلى مكافأة أكبر فهم يقولون إن القبلة إقناع علوى لغزو سفلى وشيك"

ماذا تريد منى نديم ، أتحبنى حقًا ، أم تريد رفع رايتك فوق جسدى وتضمنى إلى باقتك ، لأصير مجرد محظية من ضمن محظياتك ، أقر بأننى أردت القبلة بل سعيت إليها ، كان بداخلى ثورة ضد نجاد ، كنت أريد أن أنتقم منه ، فأنا من أخترت المتحف المائى لأروقته المظلمة ويوم الأربعاء موعدًا للقائنا لأنه أقل الأيام ازدحامًا به ، فهو المكان المثالى الذى يتمناه نديم للتحرش بى ، بل أعترف بأننى من شجعته بنظراتى الموحية ، ولا أنكر أننى استسلمت له لعدة ثوان مستمتعة بشفتيه المشبعتين ولهيب شهوته الحارقة وعندما أبعدته عنى مظهره غضبًا زائفًا تمنيت أن يقاومنى ويضمنى عنوة ويستمر فى تقبيلى إلى الأبد ، اشتقت التدليل ، لمن يعاملنى كأنثى مرغوب فيها ، من يفجر طاقاتى الرومانسية ، اشتقت سماع كلمات الحب التى تطرب قلبى تمنيتها أن تجرى على لسان نجاد ، لكنه يزداد سوءًا مع الأيام ، يعاملنى كفتاة ليل رخيصة ، كم أتمنى أن يلعب دور باقة تحمل زهورًا ذات رائحة طيبة أو يلعب دور حجر مصمت لا ينطق لطوال العمر.

*****

ـ يا يسوع، لقد سئمت الكتابة عن تلك الأقليات .

هكذا بدأت جانيت فى استفزازى كالعادة وهى تلقى بملف موضوع الصحافة العربية فى أمريكا على مكتبها بعجرفة

رددت عليها بصوت يشوبه الغيظ:

ـ يا عزيزتى جانيت إن أمريكا من نتاج جهد مشترك لمجموعة من الأقليات التى تكون سكانها ، فلا يوجد أحد يدعى أنه أمريكى أكثر من الآخر ، الكل يعلم أن عملية نقل الدم المستمرة لهذا المجتمع بالكفاءات والعقليات وهى السر وراء قوته.

ـ أتريد أن تساوى بينكم وأنتم نسبة لا تتعدى الواحد فى المائة من السكان بنا نحن التى تتعدى نسبتنا أكثر من عشرين بالمائة من السكان .

ـ أنت تحلمين جانيت إن الأمريكان الأفارقة لا يتعدى نسبتهم الثلاث عشرة فى المائة ثم أنت لم تقرئى كتاب صامويل هننجتون الأخير **Who We Are** إنه يحذر من الخطر الذى تتعرض له الهوية الثقافية الأمريكية التى تشكلت على مدى ثلاثة قرون وجوهرها الأنجلو بروتستانتى من القوة المتعاظمة للأمريكيين اللاتينيين حيث تبلغ نسبتهم من السكان ست عشرة بالمائة أى أكثر منكم.

قامت منتفضة من وراء مكتبها بانفعال، لتظهر مؤخرتها المتألقة فى التايير الأبيض تذكرت اهتزازاتها وهى ترقص لى عارية ، وقفت أمامى وصاحت فى وجهى بصوت حانق أعادنى من تخيلاتى الحمراء:

ـ هؤلاء مجرد فارين من بلادهم يبحثون عن فرصة لتحسين أوضاعهم فى أرض الأحلام، أما نحن فأصل من أصول هذه

البلاد فنحن من الهجرات التى شكلت الشخصية الأمريكية.

ـ يا عزيزتى الهجرة الأفريقية ليست هجرة بالمعنى المفهوم بقدر ما هى استعباد حيث جلبوا بالقوة مكبلين بالسلاسل محشورين فى قاع السفن، مجردين من آدميتهم ليصيروا عبيدًا فى حقول القطن والتبغ أو كآلات عمل بالسياط قبل ظهور آلات العمل بالبخار.

هؤلاء من شاركوا فى صنع هذه الحضارة .

ـ أقر بذلك وأبجلهم ولكن ما لا أقره أنك تنكرين دور باقى الأقليات التى شاركت فى بناء حضارة هذا البلد وما لا أقبله كل هذا الصلف والغرور الذى تتعاملين به، مع أن أمثالك جانيت يجب أن يشكر تاجر العبيد الذى جلب جدك الاكبر من غابات أفريقيا إلى هنا.

قلت هذا وقفزت خارجًا من مكتبها بسرعة فائقة، سامعًا صوتها من ورائى تسب وتلعن.

*****

أرصفة المترو تمتد نظيفة منارة، متجاورة بلا نهاية، عريضة مزدحمة، كل عدة دقائق يأتى مترو، يحتل القضبان فى مهابة، صوت دقاته يصطفق بداخلى، دائمًا يذكرنى بعلا وارتيابها الذى أراه فى عينيها وفى صوتها التهكمى، دائمًا أتساءل من أين لديها كل هذا الشك الذى يطفح يقينًا من تصرفاتها؟، فأنا حريص فى أفعالى غير مقصر فى واجباتى نحوها، هل هو حدس المرأة الفطرى أم كما تقول هى دائمًا بأن لديها شفافية لاستشراف ما سيحدث .

ظهرت ميتاب آتية تتألق فى تاييرٍ كحلى اللون، الكعب العالى يجعلها تتراقص فى دلال، شعرها يهفهف فى حريرية محيطًا بوجهها

المشـرق، بدون مقدمـات، أخذتها بين ذراعى طابعًـا قبلة خاطفة على شفتيها المنيرتين أبعدتنى بخجل متلفتة حولها:

ـ ماذا تفعل ؟ أنت مجنون .

وصـل المترو الذى ننتظره، صعدنا مع الـركاب، ونزل آخرون بدون ضوضاء، جلسنا فى مقعد خالٍ قبالة بعضنا، نظرت من حولى، أحاديث جانبيـة خافتـة، هنـاك من يقرأ فى كتـاب وآخر جريـدة وبجوارنا جلس عاشـقان منهمكان فى تبادل القبلات السـاخنة، نظرت لميتاب وجدتها تنظر لهما، أحست بى، أدارت وجهها مسرعة وهى تزفر فى زهق قائلة:

ـ هل طعام الجسد هو دائمًا ما يريده الرجل من المرأة؟

ـ إن رحم المرأة هو بوتقة صنع الإنسان، يخرج منه الرجل ولا يشغله غير التفكير فى كيفية العودة إليه واحتلاله .

ـ لماذا تفكر دائمًا فى الجنس؟ فالحب شىء والجنس شىء آخر.

نظرت إليها فى شبق قائلاً بصوت خافت:

ـ الجنس هو أعلى مراتب الحب إنه منتهاه فى صورة تحريرية .

ـ لمـاذا يعتقد الرجل أنه بلغ غايتـه عندما ينال المرأة؟ بينما المرأة تفكـر بطريقـة أكثر رقيًا، أنهـا تبلغ غايتها مـن الرجل عندما تشعر بأنه يقدر ما تقدمه له .

ـ ميتاب المرأة تتعلم الحياة وهى مستلقية بين أحضان الرجل .

"آه نديم، اسمى بين شفتيك له طعم آخر، الكلمات تخرج من فمك تفوح منها رائحة الشـهوة، نظراتك تنم عن مدى شبقك، ما يرتسم على وجهـك يعلـن انتصابك بل اسـتعدادك للانقضاض علـى، تلفت حولى، المـكان مهيأ فقـد خلا من حولنا، ماذا أفعـل ؟ ألهمنى تفكيرى بأن أضع يدى على جبينى متأوهة، تسـاءل، أخبرته وأنا راسمة الأسى على

قسمات وجهى، بأننى أشعر بصداع رهيب، سارع بالانتقال بجوارى، أخذ يدلك لى جبهتى بكفيه برفق أحالنى فيضان حنانه ولهفته على، إلى التحاف السماء، مرفرفة وسط صحبة طيور مغردة، يحيطنا قوس قزح كوشاح وضاء بألوانه الزاهية المبهجة. كما سعدت بأننى نجحت بأن أنسيه هياجه وتأهبه لمهاجمتى".

*****

استهل خوسيه كلامه معى بتوبيخى لما يجرى بينى وبين جانيت، أخبرته بأنها دائمة استفزازى وأننى اضطر إلى الرد بما يستفزها، كان خوسيه يتابع نشرة الأخبار على قناة CNN التى كانت تنقل أحوال قوات المارينز فى العراق، أطلق سحابة دخان كثيف من فمه وقال بحزن:

ـ إلى متى نضحى بأولادنا من أجل حفنة براميل من النفط.

نظرت له نظرة ذات مغزى قائلاً:

ـ بل قل شعب على شفا الانهيار وحضارة نهبت ودولة تفتت من أجل حفنة آبار من البترول، بالله عليك خوسيه أين دور المفكرين والمثقفين فى التأثير على السياسات الخارجية لأمريكا.

ـ نحن فى بلاد تعتنق اللاثقافة فهم لا يهتمون بماذا تعرف بقدر ما يهتمون بما عملت، لذا فنجد أن المثقف هنا لا يحظى بالتقدير الذى يحظى به فى دول أقل تقدمًا من أمريكا.

ـ لكن خوسيه هذه البلاد تعيش حالة من الانفصام فى سياستها الخارجية حيث أنها تدعى بأنه آلهة الديموقراطية فى الكون وفى نفس الوقت تجدها تتحالف مع معظم ديكتاتوريات العالم.

تنهد خوسيه ساحبًا نفسًا عميقًا من غليونه ثم قال بصوته الهادىء:

ـ يا صديقى نديم يجب أن تتفهم العقلية الأمريكية وستجد أن هذا

ممكـن، فالفكر البراجماتى الذى يعتنقه المجتمع الأمريكى لا يؤمن إلا بالرجل العملى وليس النظرى فهو لديه حماسـه لكل مـا هو مادى ملمـوس، ربما البيئة أيضًا سـاعدت على ذلك حيث إنهـا كانـت تتطلب رجالاً يسـتطيعون صنع الأشـياء مـن تطهير الغابـات ومد الطـرق وبناء المدن فالرجال الذيـن يثيرون إعجاب الأمريـكان، ليسـوا أصحـاب النظريات والفلاسـفة بـل هم من يحيلون الأفكـار إلى واقع مثل فورد وأديسون .

والبراجماتية نديم ترتبط بفكرة المصلحة فالأمريكى لا يهتم إلا بما يمثل له مصلحته فنجده يصادق ويعادى ويشارك من له معه مصلحة دونما اعتبار لاختلافه معه فى المثل والقيم الأخلاقية، فأمريكا على استعداد دائـم لحمايـة نظـم ديكتاتورية كما تقـول كما فى أمريـكا اللاتينية والشـرق الأوسط لأن لها مصالح معها على الرغم من إدعائها بأنها تحمى وتشـجع على حقوق الإنسان والديموقراطية فى العالم وهى على استعداد لشـن حروب تجارية مع أصدقاء لها من أجل مصلحتها مثل اليابان بالرغم من إدعائها تشـجيع حريـة التجارة، بل أنها فى بعـض الأوقات يمكـن أن تضحـى بأولادها من أجـل تحقيق مآربها مثل ما حدث فى كوريا وفيتنام وأفغانستان وكما ترى أمامك الآن على شاشة التلفاز فى العراق.

ـ لكـن هنـاك المنظرون لهذه الفلسـفة البراجماتية ممن يجدونها نبراسًا للحياة الناجحة التى تحقق الرفاهية للإنسان .

لكنهـم لا يذكرون سـلبياتها، مثل التعامل بـدون عاطفة والبحث عـن المنفعـة بطـرق ميكيافيلية واغفـال التراث الحضـارى والمعايير الروحيـة مما يؤدى بالسـلب فى بناء شـخصية الإنسـان وتـرى أن نجاح الفرد هو أسـاس الأخلاق وليس تراكم التراث الثقافى الإنسـانى فهى تشـجع طـوال الوقت على التفوق الفردى دون تحقيـق أى قيمة من القيم

الفاضلة كالحق والعدل مما يتفشى فى المجتمع اللاأخلاقية بل تحيله إلى غابة من الوحوش يأكل بعضها البعض .

صمت فجأة ونظر لى قائلاً :

ـ كانوا يقولون قديمًا أن انسان فى العشرينيات من عمره وليس يساريًا هو انسان بلا قلب وانسان فى الأربعينيات من عمره ولايزال يساريًا فهو انسان بلا عقل وأنا أقول نديم إن انسانًا فى الخمسينيات من عمره ولايزال براجماتيًا هو انسان نزعت منه انسانيته.

قالها وأشعل غليونه من جديد وأخذ يدخن وينظر متابعًا نشرة الأخبار فى صمت.

*****

أشكال الأشجار العارية فى الشتاء تثيرنى كأنهن فاتنات تجردن من ثيابهن ويقفن عارضات أجسادهن على المارة ، أتخيل ميتاب تقف بينهن تنادينى ، تسرع خطاى للإقتراب يتلاشى خيالها ، أستفيق من أوهامى أقترب من مبنى المجلة ، يعلن الـBlackberry عن قدوم رسالة ، أدلف من باب المبنى ، أسرع إلى المصعد دهاليز المجلة لها رائحة القرنفل هذا يدل على وجود خوسيه فى المجلة ، أدخل مكتبى أسارع بفتح الإيميل كانت رسالة من ميتاب ، ظهرت صورة لفتاه صارخة الجمال ، تقف عارية نظرة دلال تكتسى وجهها ، يداها فى وسطها تعلنان ثقتها بجمالها ، أسفل الصورة خطت متياب عدة كلمات .

"كم تشبهنى هذه الفتاة عندما رأيتنى عارية فى حجرة قياس الملابس" دق قلبى رغبة وانتفضت شهوتى من سباتها وأنا أقرأ حروف الكلمات نظرت للصورة بإمعان ، وتيقنت أن عيون ميتاب أنهار عسل ، وشعرها بساتين الفردوس وجسدها الحور العين ، إنها أفتن من الصورة

بآلاف النساء، أشعلت الرسالة نيران رغبتى فيها، كم قاومت هذه الرغبة وغللتها داخلى، لكن عندما سمحت لى بتقبيلها فى حوض السمك أرخت أغلالى واليوم بهذه الرسالة حطمتها بأسرها، إنها فتحت الباب على مصراعيه للتمتع بلذائذها وامتصاص رحيقها وقطف ثمرتها الشهية.

سارعت بالرد على الرسالة:

"كيف تشبهين جدولاً صغيرًا بنهر عظيم، كيف تشبهين نبتة بالفردوس، أنت لا تعرفين قدر نفسك، ففيك أختزل الله كل نساء العالم"

لكن الآن من يطفىء شهوتى المستعرة، ابتسمت وأنا أتذكر أن اليوم الإثنين لقاء جيسيكا.

*****

استكان الفراش بعدما أرهقناه بأوضاع عهرنا الفاضح، استندت جيسى بجسدها على ظهر الفراش، تناولت من على الكومود علبة السجائر، أشعلت واحدة، أخذت نفسًا عميقًا، لفظت سحابة من الدخان، ارتسمت على وجهها ابتسامة صافية قائلة:

ـ تعرف نديم لماذا أحب أن أنام عارية فى الفراش؟ لأنه يذكرنى بدفء وحنان رحم الأم.

ـ أفهم من ذلك أنك تعانين من نقص حنان الأم.

ماتت أمى وأنا صغيرة جدًا، ورفض أبى الزواج ثانيةً حتى لا يأتى لنا بزوجة أب.

ـ لماذا جيسى لا تحبين وتتزوجين؟

ـ أتزوج ليصير لزوجى بعد عام أو اثنين صديقة مثلك. عزيزى أنا أفضل أن أكون الصائد لا الفريسة على الأقل الصديقة يمكنها

أن تختار بعناية صديقها ولديها الحرية فى إنهاء العلاقة ببساطة إذا أصاب العلاقة الملل مثلاً .

ـ وهل ستملينى جيسى؟

مالت على وطبعت قبلة على شفتىّ:

ـ أنت لا تمل نديم، لكن أخبرنى بصدق لماذا تخون زوجتك على الرغم من أنها مثيرة وجذابة لقد رأيتها فى عدة صور معك .

قمت من جانبها وجلست على فوتيه أمامها ، نظرت إليها قائلاً:

ـ الملل كما قلت جيسى هو ما جعلنى أعرفك، إننى كنت أرجع السبب إلى الأحادية وأن امرأة واحدة لاتكفى، لكن ما تبينته أن السبب الحقيقى هو أن يصير الحب غطرسة من المحب نتيجة الأنانية المفرطة فيتحول الحبيب إلى سجين فى زنزانة ضيقة على الرغم من أنها وردية ، فأسوأ شىء فى المحب أن يتحول إلى صوت الوصى على تصرفات الحبيب ثم يصبغ بصوت الأم الناقدة طوال الوقت، ثم يصير الصوت فى النهاية إلى متلصص يراقب تحركاتك وهذه بداية السقوط فى الملل والهروب إلى أخرى . لكنك جيسى لم تجيبينى على سؤالى لماذا لا تحبين؟

ـ عزيزى نديم الحب شىء غامض ينتمى لعالم الميتافيزيقا ، أنا أفضل عليه الشهوة فهى شىء ملموس أحسه وأعيشه ، عالم ملىء بالبهجة واللذة يجعلنى أشع نورًا .

قالتها وهبطت بجسدها إلى حافة الفراش ليزداد انبثاق نهدها الشهى من وراء الثوب، ابتسامتها اللعوب فخذها العارى، جعلوا شهوتى تستعر من جديد ، قمت منقضًا عليها ، ليستغيث الفراش من معاودة إرهاقه مجددًا.

(٧)

تناول نديم قلمه، ارتكن بساعديه على أطراف مكتبه، وبدأ يخط على الورق الأبيض:

"يعرى جبران مشاعره ويبدر مكنونها فى عدة رسائل لأصدقائه فيقول: كلما أغمضت عينى عن هذا المحيط إلا رأيت الأودية المملوءة سحرًا وهيبة، وتلك الجبال المتعالية بالمجد والعظمة، كلما صممت أذنى عن ضجة هذه المدينة إلا سمعت خرير تلك السواقى وحفيف تلك الغصون، أتمنى أن أرافقك إلى تلك البلاد التى أحب صخورها وأوديتها وأكره حكامها وكهانها، ولكن ما ترسمه الأحلام تمحوه اليقظة وما تبنيه الأمانى يخفيه العجز."

لكن جبران لا يتوقف عن حلم العودة رغم قسوته على نفسه فيسألها: "هل سنرجع يومًا ونجلس بجوار دير مارسركيس بين الصخور والنبات؟ فأنا ممن يحفظون ذكرى الأشياء ومهما كانت بعيده ولا يدعون خيالاً من خيالاتهم يضمحل فى الضباب، بل قد يكون احتفاظى بأشباح الأيام سببًا لكآبتى وانقباضى، ولكنى لو خيرت لما أبدلت بأحزان قلبى أفراح العالم كله، فلابد من الرجوع إلى لبنان، لابد من التملص من هذه المدينة السائرة على دواليب، إلا إننى لا أريد أن أترك هذه البلاد حتى أقطع الخيوط والسلاسل التى تربطنى بها وما أكثرها، أريد أن أذهب إليك يا لبنان وأبقى ذاهبًا"

ياه كم كان جبران نفسًا معذبة بفراق وطنه، كم يشبه الجد

الحفيد ، فكم يشبه جان جبران ، فنفس الحرمان والمعاناه من الوطن والشعور القاتل بالغربة ، إن جبران لم يستطع طوال حياته الفكاك من تلك الخيوط وكسر تلك السلاسل وتلاشى فى غربته وحيدًا لكنه لم يكف عن الحلم بالعودة لدياره وهو يعد تفكيرًا إيجابيًا انعكس على حياته خاصةً العملية بشىء من الاستقرار والانتاج المثمر.

ليت جان يفكر مثله وتملؤه الرغبة والحلم برؤية وطنه حتى وإن لم يذهب .

يرن الهاتف ، أترك القلم ، أفتح الخط كان جان:

ـ هاى جان كيف حالك؟

ـ بخير ، من فضلك نديم أريدك أن تقلنى من كاتدرائية واشنطن بعد نصف ساعة .

نظرت فى ساعة يدى ، ثم قلت:

ـ تقصد فى موعد الـ Lunch Time .

ـ نعم وسوف نأكل معًا .

ـ اتفقنا .

أقفلت الخط متسائلاً ماذا يفعل جان فى الكاتدرائية ؟؟!!

فوجئت بدخول جانيت على مكتبى ، أخبرتنى بعصبية أن بعض ملفات موضوع الصحافة العربية قد مسح بالخطأ من على حاسوبها ، هدأت من روعها وطمأنتها بأنى أحتفظ بنسخة من الملفات كاملة على الـ Laptop دعوتها للجلوس وبدأت أبحث عن الـFolder الذى أريده ، وكعادتها بدأت فى استفزازى بكلامها المتعالى المتباهى بأمريكيتها وهى تذكرنى بأن الكمبيوتر الذى أستخدمه بين يدى بيسر وسهولة هو من الاختراعات التى قدمتها بلادها للعالم ، وأعقبت

بـأن بلادهـا هى صانعـة كل ما يريح الإنسـانية فى العصـر الحديث، فمنذ ظهور الثورة الصناعية وبزوغ الفكر الرأسمالى الليبرالى وتوالت الابتـكارات الأمريكية لبناء الحضارة الانسـانية فبدأ أورليفر إيفانز باختراع أول مصنع ميكانيكى لطحن القمح ليفجر ثورة فى الصناعة، ثم تخترع ماكينة الخياطة لتندلع ثورة تصنيع الملابس الجاهزة وتظهر الآلات الزراعيـة والتلغـراف لصمويل موريس ثم الآلـة الكاتبة لتتدفق النسـاء للعمـل خارج البيـوت، ليجيىء جراهـام بل بالتليفـون ثم يخترع إديسون المصباح الكهربائى، قاطعتها قائلاً:

ـ جانيت كما قلت لك من قبل أمريكا ما هى إلا ماكينة ضخمة تحتـاج إلـى كميـات هائلة مـن الوقود لكـى تنتج وهـذا الوقود متمثل فى هجرات العقول والأيادى العاملة المفيدة بصورة متتالية ومستمرة.

تقاطعنى بحماسة:

ـ ومـن يجعـل هذه الماكينة تعمـل، من يهيىء لهـا البيئة الملائمة للإنتـاج مـن منهـج ونظـام، فمثـلاً منذ ظهـور كتـاب تايلور فى علـم الإدارة عـام ١٩١١ حـدث انقلاب فـى إدارة الإنتـاج الكبير وأسـتخدمه هنرى فـورد فى إنتاج أول سـيارة رخيصة لاسـتعمال الناس ثم توالت اختراعاتنا لرفاهية الناس حتى وصلت للفمتو ثانية والثورة الطبية والتكنولوجية باختراع الحواسب الشخصية والآلة الطابعة التى تطبع عليها هذه الأوراق الان والشبكة العنكبوتية وجوجـل والفيس بوك الذين أحالوا العالـم لقرية صغيرة مترابطة الأطراف.

قاطعتها بحنق قائلاً:

ـ ولماذا حضرتك لا تذكرين أسلحة الدمار الشامل التى لونت العالم باللون الأحمر والجانب السلبى الرهيب للتكنولوجيا واثرها على صحة الإنسان وروابطه الأسرية ، لماذا لا تذكرين دفن النفايات النووية والتلوث البيئى ثم من قال لك أن شعوب العالم تريد نسيان ثقافاتها وتراثها ويتعولموا ليصيروا شيئا ماسخًا يدور فى فلك القطب الأوحد وثقافاته الصابونية التى لا تبنى العقول.

اعتدلت فى مقعدها ، أحسست أنها ستنفجر زهوًا ثم قالت بحماستها المعهودة:

ـ ما ذكرته من سلبيات هو ثمن زهيد مقابل التطور والتقدم والرفاهية التى نقدمها للعالم ثم من يرفض أن يدور فى فلكنا سوف يتوقف تمامًا عن الدوران ويدخل فى عصور الظلام والتخلف. عزيزى نديم كما قال الروائى العظيم سكوت فيتزجيرالد أن اكتشاف أمريكا كان آخر مفاجأة للإنسان على هذه الأرض، كم أنا ممتنة وفخورة كونى أمريكية .

عند هذا الحد وصلت إلى مرحلة من الغيظ قاربت على الانفجار فقاطعتها كاظمًا غيظى وبصوت ساخر:

ـ إذن جانيت أنت يجب أن تشكرى ربك كثيرًا بأن كريستوفر كولومبس لم ترتعد فرائصه مع أول عاصفة قابلته فى المحيط وأرتد على عاقبيه بسفينته سانتا ماريا ، لكانت أمريكا حتى الآن يملكها الهنود الحمر وكنت أنت الآن فى إفريقيا تطاردين القرود فى الغابة.

قلتها وأطلقت ضحكة عالية فى وجهها ، انتفضت واقفة من أمامى صائحة فى وجهى:

ـ أنت لست وقح فقط بل أنت همجى متخلف، متى تفيق وتترجل عن جملك .

نفثت غضبها فى وجهى وخطفت الورق من أمامى، وتركتنى وخرجت من المكتب فى حالة غضب جم .

*****

كاتدرائية واشنطن الوطنية هى سادس أكبر كاتدرائية فى العالم، يعبر بناؤها عن المعمار القوطى البديع يبلغ ارتفاعها ناطحة سحاب من ثلاثين طابقًا، تزينها أكثر من مائتى نافذة من الزجاج الملون، وبرج للأجراس يحتوى على ثلاثة وخمسين جرسًا، وتتسع لأكثر من ثلاثة آلاف مصلٍ.

أوقفت سيارتى أمام الكاتدرائية، منتظرًا جان حتى يخرج، مر من أمامى جمع ينشد تراتيل دينية، لم أعرف لأى دين ينتمون، فالغريب أن فى أمريكا عشرات الأديان والمذاهب، فطبقًا لآخر إحصاء لمجموعة برانا للأبحاث فإن البروتستانت بمذاهبهم المتعددة هنا يشكلون ٦٠٪ من السكان بينما الكاثوليك ٢٧٪ والأرثوذكس الشرقيين ١٪ واليهود يبلغون ٢٪ والمسلمين مثلهم والأديان الأخرى ٤٪ والملحدين ٢٪ واللادينيين مثلهم .

ولقد كفل الدستور الأمريكى الحرية الدينية، ولهذا كان الرؤساء الأمريكيون يتحركون فى الممارسة بين شعب متدين ودستور علمانى، فكانوا يظهرون أشكالاً من التدين لاحترام الدين فى الحياة العامة وإن كانوا علمانيين فى السياسة والحكم .

وهذا ما جعل توماس جيفرسون (الرئيس الثالث للولايات المتحدة وأحد واضعى الدستور) يقول إن تعديلنا الأول للدستور بهدف وضع

حائط بين الكنيسة والدولة، ومن هذا اليوم أخذ هذا الحائط يعلو وينخفض طبقًا لمدى تدين الأمريكيين ومدى علمانية الدولة والسياسة، ففى السنوات الأخيرة خاصة فى حكم الرئيس جورج بوش الإبن انخفض الحائط بل تلاشى مع زلة لسانه فى أحد خطاباته بأن أمريكا بصدد شن حرب مقدسة صليبية على الإسلام، ربما هو اعتذر عن هذه الهفوة فيما بعد ولكن بعد أن استغلها فى الترويج وإعطاء مصداقية لغزوه العراق أمام شعبه من أجل الاستيلاء على ينابيع البترول إرضاء لشركات النفط التى جاءت به رئيسًا.

يخرجنى جان من مناجاتى بوقوفه أمامى قائلاً:

ـ أعتذر لك على مجيئك، فجومانة لديها ميعاد مع طبيبها.

ـ على الرحب والسعة جان، ولكن اخبرنى هل غيرت مذهبك الدينى؟

ضحك وهو يركب بجوارى قائلاً:

ـ إن كنيستنا بها إصلاحات وكاهننا على علاقة طيبة ببطريرك البروتستانت فسمح لنا بأن نقيم القداس هنا.

ـ لكنك مازلت مارونيًا على الرغم من إننى لا أعرف أصل الكلمة.

يضحك ثانيةً:

ـ أنا ما زلت يا سيدى مارونيًا، والكلمة ببساطة تنسب إلى يوحنا مارون الذى انشق عن الكنيسة الكاثوليكية عام ٦٧٧م بسبب اعتقاده بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين وعلى أساسه تم تكفير المارون ومطاردتهم حتى استقروا فى جبل لبنان وترأسهم بطريرك لبنان وظلوا مستقلين بمذهبهم إلى أن أعلنوا ولاءهم

لكنيسة روما عام ١١٨٢م مع بقائهم على مذهبهم، هل فهمت الآن ماذا تعنى مارونى .

تبسمت له قائلاً :

ـ أنا مسرور لك جدًا جان أنك بدأت تعود للصلاة فى الكنيسة .

أخبرنى بأنه حدث شىء يفوق العقل والمنطق، حكى لى وحدقتا عينيه تتسعان دهشة بأنه رأى رؤية تكررت ثلاث ليال متتالية، لرجل يشبه المسيح ويقف على جانبيه والداه وسط بستان يحيط به أشجار الأرز وجبال خضراء، كانوا يرفعون له أيديهم يدعونه للإقتراب . عندما أخبر جومانه بالرؤية فى الليلة الثالثة، انفجرت فى بكاء واستحلفته بالذهاب إلى الكنيسة للصلاة وأنه حان الميعاد لذهابه إلى طبيب نفسى، صمت برهه وقال بصوت متأثر :

ـ عندها لا أعرف نديم ماذا حدث لى غير أننى أومأت برأسى لها موافقًا دون أن تنبس شفتاى بكلمة واحدة، ومن لحظتها وكأننى ممسوس بتلك الرؤية، مسير فى أفعالى لها.

نظر لى جان بجدية وحكى لى بأنه كان يخاف من أن يذهب للكنيسة لأنها تزيد شعوره بالغربة وتذكره بوطنه بأثاثها وتماثيلها وصلبانها ورهبانها بلحاهم ومسوحهم المصنوعة من النسيج الخشن ووجوههم وعيونهم الغائرة .

وأن قراره زيارة الطبيب النفسى، جاء لأكتشافه أنه يريد من يجبره على الأمتثال للعلاج . توقف برهه بلع فيها ريقه ثم استرسل بنفس الجدية :

ـ نحن أبناء العالم الثالث بداخلنا جينات الخنوع والخوف من السلطة حتى ولو عشنا عمرنا بأكمله فى بلاد بعيدة لهذا قررت

أن أنصاع لنصائحكم وأذهب لطبيب نفسى . لقد سئمت نديم آلام الغربة والحنين للوطن، لقد قاربت على الجنون، تجلدنى نظرات جومانه الحبلى بالشفقة على وعليها أشتاق أن أرتمى فى أحضانها ثانيةً مستمتعًا بدفئها وحنانها ، أرغب أن أركع على تراب الوطن مقبلاً.

*****

مشت علا فى الطريق المختصر المؤدى إلى منزل جارهم سامى، فهى اعتادت على أن تشمله برعايتها بعدما هربت زوجته، فمن حين لآخر ترتب له منزله وتمده بأطايب الأطعمة والحلويات التى تبرع فى صناعتها ، ولقد اعتاد هو على ترك نسخة من مفتاح منزله معها ، لفت نظرها شجرة فى حديقة منزله ، وقفت أمامها متأملة ، كانت شجرة سامقة تقف بجذع ناحل وأغصان قصيرة وارفة "كم تشبهينى أيتها الشجرة المسكينة ، فلم تعودى تغطى سوى رأسٍ واحدٍ بظلك القليل، ولا تستطيعى أن تسندى سوى ظهرٍ واحدٍ بجذعك الضعيف، ولا يغنى فيئك عن جوع، فأنا مثلك لم أعد أكفى ولا أشبع رغبات زوجى" . مسحت دمعة نفرت من عينها ، مشت متجهة إلى مدخل المنزل، لاحظت نورًا منبعثًا من حجرة المعيشة ، أدارت المفتاح فى الباب ببطء، دخلت بخطوات خفيفة ، وجدت سامى بقامته الفارعة يسترخى على الأريكة يشاهد التلفاز بادرته:

ـ سامى أنت هنا !!

ـ أهلاً علا ، لم أذهب للعمل اليوم .

ـ هل أنت مريض؟

قام لاستقبالى، تناول منى ما أحمله من طعام قائلاً:

ـ أنا لست مريضًا ولكنى فعلت اليوم كما يفعل الإيطاليون، فهم لديهم عادة بأن يقرروا فى يوم ألا يقوموا بأى عمل ويمكثوا فى بيوتهم للإسترخاء والاستجمام وهذا ما فعلته .

يكشف الطعام ويصيح فرحًا ، الله محشى، الله يخليك يا علا . يأكل بتلذذ .

لا أعرف برغم فرحته البادية عليه إلا إننى أجدها مصطنعة ، فعيناه كابيتان وقسمات وجهه غارقة فى الحزن، فى ماذا يفكر؟ إنه إنسان مرهف الحس رقيق المشاعر، لا يحتمل خيانة من يحب، فربما يقدم على تصرف غير حكيم ليداوى كرامته المجروحة ، جال فى ذهنى أن أسأله عن عمله لأرى مدى اهتمامه به سمعت فى صوته نبرة حماسة وهو يحكى لى أنه استطاع أن يحصل على عدة عقود لتوريد كميات كبيرة من الورود لعدد من الحفلات والمؤتمرات فى واشنطن وأنه اشترى سيارة نقل جديدة بدلاً من سيارة المحل القديمة ، فجأة توقف عن الكلام، وضحك فى وجهى لتظهر أسنانه ناصعة البياض لتزيد وجهه سمرة استرسل:

ـ أنت تريدين أن تعرفى هل أننى مازلت متأثرًا بفراق هيلين، لا تنكرى أرجوك .

ـ لن أنكر، أنت تعرف قدرك عندى أريد أن أطمئن عليك سامى.

ـ نعم علا ، مازلت أطبب جراحى من العشق كى أستريح وأشفى من هواها اللعوب لكنى قاربت على الشفاء، صدقينى علا لم أعد أبكى عليها لم أعد أنتظر عودتها أشعر بأنها شمس بدأت تغرب من حياتى .

تهدجت أنفاسه صعودًا وهبوطًا غرغرت الدموع فى عينيه، أعرف

كم صعب على الجنوبى أن يبكى، نُقلت غرغرته لعينى عندما تذكرت حالى وما أعانيه مع نديم، بدأت الدموع بالفوران فى مقلتى لكنى خنقتها فى مهدها، لكنه لاحظ فقال وهو يقترب منى:

ـ ألمح سحابة قاتمة تغيم وجهك، ماذا بك علا؟

عقد لسانى لم أستطع تحريكه للإجابة عليه، اقترب منى أكثر، نظر فى عينى، كانت عيناه العسليتان تائهتين تبحثان عن ملاذ، بر أمان، احتوانى بين ذراعيه استسلمت، ونامت رأسى على صدره الحنون، أختفيت داخله، عادت دموعى لفورانها من جديد، هذه المرة فرت دمعة دون إرادتى، نظر لعينى ثانيةً، مسح دمعتى، لفحتنى أنفاسه الساخنة. كم أحتاج سامى أن أنام فى حضنك أن تواسينى بجراحك وأربت عليك بلوعتى، كم يحتاج تابوتك إلى مومياء مثلى. بدأت أسمع دقات قلبى وكأنها بندول ساعة فى سكون قاتل تهوى على عقلى كهراوة تكرر سؤالاً واحدًا، هل أفعلها؟ قلب المرأة المجروح يصرخ فى افعليها، وما تبقى لى من عقل يحذرنى بأنها مغامرة محفوفة بالمخاطر، إنه باب تفوح منه رائحة الجنة لكنه يفتح على جهنم هل أصبح كالطائر الذى يحاول الهرب من القفص لتدفعه الريح إلى قفص آخر، فى حركة لا شعورية تغلب فيها صوت العقل، انفصلت عن حضنه الدافىء، ساويت بكلتا يدى شعرى وقلت بصوت يكسوه الخجل وأنا أنظر لموضع قدمىّ:

ـ الأيام قادرة على مداواة الجراح سامى.

قلتها وحركت قدمىّ الثقيلتين واتجهت إلى باب المنزل لأخرج، أغلقت الباب ورائى وأنا أتذكر مقولة سمعتها من إحداهن تقول "عندما تحب المرأة لا تفكر فى الخيانة، وعندما يخون الرجل لا يفكر فى الحب".

*****

وقف نديم أمام المرآة بحجرة نومه، يسوى شعره، يصلح من رابطة عنقه، يهندم حُلته التى لا يرتديها إلا فى المناسبات الهامة، فاليوم ذكرى مولده، أخبر علا بأن لديه مؤتمرًا بأحد الفنادق الفاخرة بواشنطن يجب أن يغطى أخباره لمجلته، بينما هو ذاهب للاحتفال مع ميتاب، نظر فى ساعة يده كانت الحادية عشرة ظهرًا.

استغرب من تصرف علا فهى المرة الأولى التى تنسى فيها أن تهنئه بعيد مولده وتقدم له هديه، ذهب يبحث عنها، كانت تقف كالعادة فى المطبخ:

ـ ألم تنسى أن تقولى لى شيئًا اليوم؟

فكرت برهة ثم نظرت إلى النتيجة المعلقة على الحائط، ثم قالت بشىء من الفتور:

ـ آه كل سنة وأنت طيب، آسفة يا نديم سأعطيك هديتك فى المساء.

ـ وأنت طيبة يا حياتى.

قالها ونظر فى ساعة يده، تناول حقيبته وخرج، قاد سيارته على الطريق السريع، أدار الراديو انبعث منه صوت موسيقى جاز وسرح معها:

"اليوم هو اليوم الموعود لنيل ثمرة ميتاب، لقد أعددت كل شىء، أخذت أجازة من عملى وسوف ألقاها بعد قليل فى الـ Lunch Time.

أوقفت سيارتى أمام المطعم الذى سألقاها فيه، طلبت غذاء لاثنين Take Away وجلست أنتظر مجيئها دقائق وهلت فى تايير أبيض يزيدها تألقًا، وكأنها تشاركنى لحظة إحتفالى بقطف ثمرتها فارتدت فستان الزفاف، ابتسمت عند رؤيتى، أخبرتها ألا تجلس، استغربت قلت وأنا

أحمل شنط الطعام:

ـ سنذهب بسيارتى إلى Park المطار لنشاهد هبوط وصعود الطائرات ونحن نأكل ما رأيك؟

نظرت لى بارتياب، أعقبت بصوت صادق:

ـ ميتاب إنه عيد ميلادى وأريد أن يكون لقاؤنا مختلفًا فقط من باب التغيير.

ترددت لبرهة ثم أومأت برأسها موافقة، استقلينا السيارة، قدت على مهل حتى تخيرت مكانًا ملائمًا لمشاهدة الطائرات، أوقفت فيه السيارة، أخذت أخرج الطعام من الشنط وأضعه على تابلوه السيارة، لكنه أخذ ينزلق نظرت لها فى ضيق ثم لملمت الطعام ثانية فى الشنط، وهممت بقيادة السيارة، فسألت فى قلق:

ـ ماذا تفعل ؟ إلى أين ؟

ـ هل يعجبك ما نحن فيه، إننى أريد مكانًا هادئًا شاعريًا لنجلس فيه أنا أستحق هذا اليوم وأنت من حقك أن تجلسى بحريتك دون أن تلتفتى حولك طوال الوقت خائفة من أحد يراك جالسة معى.

تساءلت بتوجس:

ـ وأين هذا المكان فى بيتك؟

ـ ميتاب لماذا لا تثقين فى، إنه مجرد مكان هادىء نجلس فيه بحريتنا.

ـ أنا لا أخشى منك نديم، لأنى أثق بنفسى جيدًا.

ـ لا تثقى بنفسك لهذه الدرجة فلكل إمرأة نقطة ضعف.

ـ لكن المرأة الذكية هى التى لا تظهرها أبدًا.

ـ لكنى أعرفها .

ـ أنت تحلم .

ـ سنرى .

عرجت بالسيارة على الطريق السريع المؤدى إلى فرجينيا ، توقفت عند موتيل Sea Blue الذى حجزت فيه مسبقًا الحجرة رقم السادسة والأربعين وهى بالصدفة نفس سنوات عمرى. الموتيل يعتبر من أهم الاستراحات التى يعرج عليها المسافرون على الطريق السريع ففيه محطة لتزويد السيارات بالوقود ومطعم راقٍ وحديقة غناء بها كافيه بالإضافة إلى حجراته رائعة التأثيث ، أوقفت السيارة فى الـ Park واتجهت إلى مكتب الإدارة للإيحاء أمام ميتاب بأننى ذاهب لحجز حجرة . خرجت بعد دقائق ودعوتها للترجل من السيارة ناشدتنى الركوب للحظات ، وافقتها :

ـ أرجوك نديم ما نفعله درب من الجنون .

ـ أن نجلس سويًا فى مكان هادىء جنون .

ـ نديم إنها خلوة .

ـ أنت تقولين أنك لا تخشيننى وتثقين بنفسك فما المانع ، إنه يوم خاص بالنسبة لى فلا تفسديه أرجوك .

ـ إذن أوعدنى أن نغادر بمجرد أن نأكل.

ـ اتفقنا

ـ انتظر

قالتها وأخرجت من حقيبة يدها لفة هدايا صغيرة ، ناولتها لى:

ـ Happy Birthday نديم .

حليت وثاقها ، كان بها ربطة عنق سماوية اللون مطعمة بكشميرات صغيرة زرقاء .

ـ إنها رائعة ، ولكن ألن تقبليني .

مالت على ، وطبعت قبلة سريعة على شفتي ، جعلت جسدي كله ينتفض رغبة ، ترجلت من السيارة واتجهت إلى الناحية الأخرى لأفتح لها الباب ، دارت نصف دائرة بساقيها لتتفرجا عن جزء من فخذيها المغوين ليشعلا شهوتي ، فتحت باب الحجرة ، دلفنا إليها سريعًا ، عند إغلاقي بابها ، انفتح على مصراعيه باب شهوتي ورغبتي في نيلها وسيطرت الفكرة على عقلي كهوس ، سقطت منها نظارتها الشمسية انحنت على الأرض لالتقاطها ، استعرت شهوتي وأنا أرى تداويرها الرائعة تتحدد وتبرز أمامي ، انفجرت رغبتي أفعالاً ففي لمح البصر انقضضت عليها مطوقها من الخلف بذراعي واضعًا ذراعي الأخرى بين فخذيها أطلقت صرخة مدوية وصاحت في بغضب:

ـ يا مجنون ماذا تفعل؟

تحاول تخليص نفسها من قبضتي ، قاربت فمي من أذنها زاد من هوسي رائحة عطرها الأثير ، همست لها :

ـ استمتعي ، عيشي اللحظة .

طرحتها على الفراش ، حاولت الحبو للطرف الآخر ، لكنني سحبتها من ساقيها وقلبتها على ظهرها ، جثمت فوقها ، رفعت جوبتها لأعلى ، باعدت بين ساقيها ، نزعت سروالها الداخلي بقسوة ، تمزق في يدي ، فتحت مزلاج بنطالي ، تلامست أجزاؤنا الحميمية ، هممت إيلاجها ، صاحت في وجهي: لا .. ليس ثانية .. لا .. ليس ثانية .

"كان صراخي يصدع جدران حجرتي ، لكن دون مغيث أو منقذ ،

الـكل غافـل، أبى فـى العمل، أمى فى السـوق، وأخواتى فـى الـ Back Yard يلهون فى براءة، أصرخ مرة أخرى يلطمنى بقوة على وجهى تخرسنى اللطمـة لبرهـة، اليـد الباطشـة تمزق مـا يقابلهـا من ملابس، اسـتحلفه بصوت ناشج مستعطف بالله بالقرابة بالفضيلة، إلا أنه يستمر فى عدوانه وكأننى أسـتحثه على فعلها، لحظة اختراقى، أحسست بأن عقلى ذهب حاولـت الصـراخ لكن صوتى حبس، شـلت حركتى وغبـت عن الوعى. لكن اليوم لن تعاد الكرة، لن أستسلم ثانية، فأنا أقوى شكيمة وبأس حتى صوتى أشـعر به يندفـع بقوة، يصير صراخًا فـى جوفى، ينفجر فى وجهه بغضب السنين المكبوت داخلى: لا.. ليس ثانيةً "

صاحت فى وجهى ثانيةً بهستيرية:

ـ أتريد اغتصابى، أهدفك اغتصابى.

عند سـماعى كلمة اغتصاب، أفقت من هوسـى، شلت حركتى، إرتخت أعصابى، تملكنى إحساس بالقرف من نفسى، انتفضت واقفًا مـن فوقها، كانت دموعها تنسـاب بحرقة، تسـاءلت مـاذا فعلت؟ أين كان عقلـى؟ أيـن فطنتـى؟ هلى هبطت إلى هـذه الدرجة مـن الدونية؟ هل أصبحت عبدًا لشـهواتى؟ قفزت من السـرير واقفة أخذت تهندم من حالها صاحت فى بصوت باكٍ:

ـ أرجوك أريد أن أذهب حالاً.

طأطـأت رأسـى موافقًـا، فتحـت البـاب، خرجنـا، أخـذت أهندم ملابسى وأساوى شعرى بيدى، رفعت ناظرى لأعلى، فوجئت بجيسيكا تقف أمامى بجانب سـيارتها، تنظر خلفى، تلفت، كانت ميتاب تخرج وهى تسـاوى شـعرها وتغلـق أزرار بلوزتها الداخلية، نظـرت مرة أخرى لجيسـيكا كانـت تقف مشـدوهة مـن المنظـر ثم تحركـت بصورة

آلية استقلت سيارتها وغادرت، بينما وقفت متسمراً فى مكانى من هول الموقف، لحظات وأستقلينا السيارة، الصمت يخيم علينا سوى الشهقات الباكية المتتالية الصادرة من ميتاب، كانت بمثابة أبر توخز ضميرى بمنتهى العنف والقسوة، قلت بصوت خجلان:

ـ أنا آسف ميتاب، أرجوك سامحينى .

قالت بغيظ:

ـ أرجوك لا توجه لى حرفًا واحدًا حتى نصل .

برغم حالة الاستياء التى تعترينى من نفسى إلا إننى كنت مستغربًا من تصرفها تجاهى فنحن من المفترض شخصان متحابان بيننا مشاعر، وما حدث من تصرفات قبل هذا اليوم يؤكد أنه ليس لديها ما يمنعها من الاستسلام لى مثل القبلة فى حوض السمك والإيميلات الموحية والصورة العارية ثم موافقتها أن تأتى معى فى مكان مغلق وهى تعلم مدى اشتياقى لنيلها.

إلا إننى وأنا أعتليها فوجئت بقوة الرفض الهائلة داخلها نحوى ثم ماذا تعنى بقولها "لا ليس ثانيةً"، لكن هذا كله لا يهم الآن فمن الواضح أنها المرة الأخيرة التى أراها فيها وما زاد الأمر سوءًا رؤية جيسيكا لنا آه يا له من يوم نحس ذكرى مولدى .

*****

(٨)

"دائمًا كنت أطلق على علاقتنا جنون، لكن كنت متقبلاها وراضية عنها لأننى كنت واهمة بأنك تمدنى بجرعات النصح الصادق للمحافظة على أسرتى، كنت أعتبرك حائطًا عاليًا، أستند إليه عند ترنحى. أعترف بأنك استطعت بدهائك أن تستميلنى إلى فخك الناعم، لا أنكر أنك ملأت خوائى العاطفى انزلقت بكاملى داخل شركك الوردى، وبدأت أتغاضى عن أقوالك الفاحشة، ملامساتك الخاطفة حتى تملكنى هواك تمامًا، فمنحتك ثقتى العمياء، وتماديت سامحة لك بسذاجتى بتقبيلى وضمى لكنك جشع لا ترتوى ولا تكتفى، فخنت الثقة وفعلت ما لا يتخيله عقل، أعترف بأن معرفتك جنون وآن الأوان للبراء منه. الوداع يا من كنت تدعى حبى".

مددت يدى ضاغطًا على زر الخروج من E_mail مسدلاً الستار عن نهاية قصة بدأت منذ شهور طويلة فى Bus Connector أتذكر عندما حاولت لمس يدها كان خصامًا لساعات، وعندما حاولت تقبيلها كان فراقًا ليوم وعند احتضانها فى حجرة قياس الملابس كان البعاد لعدة أيام، لكن هذه المرة فراقًا أبديًا لا رجعة فيه ينتابنى شعور قوى بأننى الضحية، فأنا لم يتح لى فرصة الدفاع عن نفسى وشرح أسبابى عما اقترفته إنها تنهى العلاقة بكل بساطة غير مبالية لأى مشاعر وأحاسيس بيننا وكأنها كانت سرابًا ووهمًا.

أسمع نقرات على باب مكتبى، ينفرج الباب، يدخل خوسيه،

يسألنى ودخان غليونه يحيط به:

ـ هل ستأتى معى للغداء؟

تذكرت أننى يجب أن أمر على جيسيكا فى المتحف لمحاولة رؤيتها فهى لا ترد على اتصالاتى ولا توجد فى فيلاتها، لكنهم فى المتحف أكدوا لى أنها ستتواجد اليوم لحضور اجتماع هام. قلت لخوسيه وأنا أصطحبه خارج الحجرة:

ـ آسف خوسيه لدى موعد هام الأن.

ـ إذن هيا بنا نخرج سويًا.

استقلينا المصعد، هبطنا إلى الدور الأرضى، خرجت من المبنى مودعًا خوسيه، أوقفت سيارة أجرة أخذت أفكر فيما أقوله لجيسيكا، كيف سأشرح لها موقفى؟ ترجلت من السيارة، دخلت من بوابة المتحف اتجهت إلى كافيه الحديقة الفرنسية، حيث اعتادت أن تمضى الـ Lunch Time هناك، دخلت من الباب تلفت حولى باحثًا عنها، وجدتها تجلس وحيدة تتناول طعامها، اقتربت، وقفت أمامها، رفعت عينيها وحدجتنى بعيون غاضبة، قالت بصوت ساخر وأنا أجلس أمامها:

ـ أرى أنك هندمت ملابسك وساويت شعرك.

ـ جيسيكا أرجوك، يجب أن تتفهمى موقفى.

ـ أتفهم ماذا؟ أى موقف؟ كم أنت وقح !!

توقفت برهة، تنهدت وأخذت رشفة من كوب الماء ثم استرسلت بصوت هادىء:

ـ أعترف لك أنك خبير فى ممارسة الحب، عرفتنى على جسدى، جعلتنى أكتشف تفاصيله الدقيقة من شعرى حتى أخمص قدمى

لكنى لا أقبل أن أصير مجرد محطة ضمن محطات قطار شهوتك السريع تتذكر عندما سألتك لماذا تخون زوجتك؟ قلت إنه الملل . وأنا كسرت لك هذا الملل كنت آلتك التى تشجر بها حديقة زواجك السعيد بإعطائك دفقة الجنس الخالص مقابل وعدك لى بعدم العبث مع أخريات لكنك للأسف تريد حرملك تعربد فيه من أجل ارتواء شهوتك واشباع غرائزك التى لا تهدأ المسألة ليست مللاً بل إن الخيانة فى دمك.

أقاطعها :

ـ لقد وقعت فى الحب جيسيكا .

ـ ماذا؟ أنت تهذى أمثالك لا يعرفون الحب ولا يتعاطونه ، أنت لا تؤمن سوى بالجنس .

تفهمينى جيسيكا .

ـ كما قلت لك من قبل أنا أحب أن أكون الصائد لا الفريسة ، أرجوك كفى لقد سئمت تلك المحادثة.

ـ بل قولى إنك قد اكتفيت منى .

ـ كم أنت وقح من اكتفى وذهب لأخرى .

قالتها وانتصبت واقفة صائحة فى غضب:

ـ مثلك يحتاج إلى علاج، يجب أن تعرض نفسك على طبيب نفسى.

خرجت من الحديقة غير مصدق ما يحدث لى، ففى عدة أيام فقدت من أتباهى بحبهن، شعور قاتل بالحسرة يحتلنى، صوت تكسر أوراق الشجر الجاف تحت وطأة حذائى يزيد شعورى بالوحشة، جالت بخاطرى علا وتساءلت هل ما يحدث لى هو انتقام من الله لخيانتى وظلمى لها ؟

دخلت مكتب خوسيه إثر استدعائه لى، وجدت جانيت تجلس أمامه فى هدوء، استقبلنى قائلاً وهو يناولنى بعض الأوراق:

ـ ها قد انتهت جانيت من مسودة موضوع الصحافة العربية، اجلس واقرأ وقل رأيك.

بدأت أقرأ الأوراق. مقدمة قوية ذات بلاغة عالية ومنصفة تمامًا للعرب مظهرة مجهودهم فى اصدار صحافة خاصة بهم فى المهجر، ثم سرد بيلوجرافى للصحف والمجلات التى صدرت فى القرن التاسع عشر حتى الآن، لكن ما أثار استيائى أنها بدأت السرد البيلوجرافى بجريدة الهدى لصاحبها نعوم مكرزل التى صدرت عام ١٨٩٨م، أكملت القراءة لآخرها ثم وضعتها جانبًا على مكتب خوسيه. لمحت جانيت تحدجنى بنظرات متنمرة، قلت بهدوء:

ـ موضوع فى غاية الجمال أجدت فى صياغته ولكنك فى البيلوجرافيا أغفلت عدة محطات مهمة جدًا.

ردت على بغيظ:

ـ وما هى تلك المحطات.

ـ إنك مثلاً أغفلت ذكر أول صحيفة عربية صدرت فى الولايات المتحدة والتى أنشأها الأخوان إبراهيم ونجيب عربيلى عام ١٨٩٢م وهى كوكب أمريكا، أيضًا أغفلت ذكر صحيفة المهاجر التى أنشأها أمين الغريب عام ١٩٠٣م والتى نشرت باكورة أعمال خليل جبران وخاصة ما عرف بعد ذلك بكتابه دمعة وابتسامة ويعتبر أمين الغريب مكتشف جبران فكيف يُغفل ذكر ذلك.

نظرت إلى خوسيه وجدته يدخن غليونه فى سعادة بادية على وجهه،

فهذه عادته دائمًا فى إخراج موضوع فى صورة براقة بأن يجعل اثنين من المحررين يتبارزان عليه الأول يكتبه والثانى يكلف بمتابعته بالنقد وتبادل الرأى حتى يخرج الموضوع فى أبهى حلة له.

قالت جانيت:

ـ لا تنسَ أنك من أعطيتنى هذه الأوراق .

قلت بحدة:

ـ وأنت أغفلتى فيها أشياء، يجب أن تعى أنها تاريخ .

يتدخل خوسيه:

ـ ولمَ كل هذا الانفعال يا نديم .

سيطرت على انفعالى، اعتذرت لها عن عصبيتى غير المبررة مسترسلاً:

ـ اعذرانى فأنا اليوم لست على ما يرام . فقط أريد أن أوضح أن موضوع إصدار صحيفة باللغة العربية فى المهجر الأمريكى فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لم يكن أمرًا سهلاً، فمثلاً كان لابد من استيراد حروف الطباعة العربية من لبنان، وكانت لا تصلح أن توضع على المنضدة الآلية (اللينوتيب) فكانوا يضعونها على منضدة يدوية وهذه طريقة فى منتهى الصعوبة، لذا فعلى الأقل ونحن نكتب عنهم ألا نغفل أى اسهام لهم فى هذا الشأن تقديرًا لما بذلوه من جهد.

قالت جانيت بصوت هادىء وقد اختفت نظراتها المتنمرة:

ـ معك حق سوف أتدارك تلك النقاط، لكن ما يجعلنى أندهش أن مع وجود رأسمال عربى ضخم فى الولايات المتحدة إلا أنكم لم تتبنوا مشروعًا لإصدار صحيفة مركزية ذات مهنية

عالية تستهدف التجمعات الرئيسية للجالية العربية فى المجتمع الأمريكى كله وتوزع فى نفس الوقت فى الوطن العربى وتكون بمثابة قناة تواصل بين الوطن العربى وأبنائه فى المهجر .

ـ معك حق فنحن على كثرتنا إلا أننا لا نعمل على نحو مرئى منظم.

*****

دلفت أنا وجومانة من بوابة إحدى البنايات العالية فى وسط العاصمة ، اتجهنا إلى المصعد ، استقليناه ضغطت جومانة على الدور العاشر ، عدة ثوانٍ وخرجنا منه سبقتنى جومانة بخطوات تعرف وجهتها تمامًا دلفت من باب زجاجى علقت أعلاه لافتة أنيقة خط عليها "جمعية المرأة والأسرة" توجهنا إلى مكتب الاستقبال بادرت جومانة الموظفة:

ـ لدينا موعد مع السيدة وتنى واتسون .

ـ هل أنتما السيدة حداد والسيدة الشاعر ؟

ـ بالضبط .

ـ إنها فى انتظاركما تفضلا فى المكتب .

أشارت لنا إلى حجرة فى وسط البهو ، دخلنا إليها كانت واسعة راقية التأثيث مكتب فخم ومنضدة اجتماعات كبيرة ومكتبة عامرة بالكتب والمراجع ، استقبلتنا سيدة فى العقد الخامس شقراء ملفوفة القوام ، مازالت تحتفظ بقدر كبير من جمالها ، رحبت بحرارة بجومانة وسألتها عن حالها ، قدمتنى جومانة لها ، هممت بأن أفتح لها موضوعى إلا أنها قاطعتنى:

ـ كل ما يدور فى رأسك ستجدينه فى المحاضرة بل وأكثر مما تفكرين فيه يا علا .

ـ أدهشنى أنها تنادينى باسمى وليس بلقب زوجى، جلت لى دهشتى قائلة:

ـ أنا لا أحب أن أنادى المرأة بلقب زوجها بل بإسمها الذى أطلقته عليها أسرتها فيجب على المرأة أن تتمسك باستقلالها وخاصة إسمها وهذا ما أحترمه فيكن أيتها الشرقيات.

ضحكت ودعتنا للدخول إلى قاعة المحاضرات. دلفنا من باب جانبى أفضى بنا إلى قاعة فسيحة تسع لأكثر من مائة شخص، ولدهشتى كانت محتشدة بالنساء، نظرت لجومانة متسائلة هل الخيانة الزوجية تفشت لهذه الدرجة؟

جلسنا فى أحد الصفوف المتقدمة، بينما اعتلت ويتنى واتسون المنصة، ارتدت عدساتها الطبية، نظرت لنا مبتسمة ثم قالت:

ـ عزيزاتى الخيانة الزوجية شيء فظيع، تنشأ لوجود خلل ما فى الطبيعة الزوجية التى تربط بين الأزواج ولهذا الخلل أسباب كثيرة.

دعونا نتحدث عن أهمها وأريد منكن وبكل شفافية وصدق أن تطبقوا ما تسمعوه على حالتكن وتصارحوا أنفسكن بالسبب الحقيقى لخيانتهم، وأؤكد لكن أن بداية الخروج من كهف الخيانة هى تلك المصارحة.

إن من أهم الأسباب التى تؤدى إلى خلل العلاقة الزوجية عندما لا يجد الرجل ما كان يطمح فيه من صفات فى شخصية شريكته، وإن لم يكن قنوعًا فإنه لن يجد هذه الصفات حتى مع ألف إمرأة، لأن لكل شخص حسناته وسيئاته. أو يكون الرجل من هذا النوع الذى يحب التغيير ويمل من العيش مع إمرأة واحدة وهذا فى الحقيقة يعتبر مرضًا خطيرًا. فى كلتا الحالتين السابقتين يجب أن يعرضا على

طبيب نفسى.

وهنـاك بعـض الرجال يحبـون أن يكونوا مرغوبًا فيهـم على الدوام وعندما يشـعرون بانصراف الزوجـات عنهم باهتمامات أخرى كالبيت والأولاد أو العمل فأنهم يولون وجوههم نحو أخريات .

كذلـك عندمـا يواجـه الرجـل متاعـب فى عملـه مثل عـدم إيجاده التقدير المناسـب له فإنه يلجأ دائمًا إلى إمرأة أخرى كى يثبت لنفسـه أنه مازال مرغوبًا فيه وأنه محط تقدير آخرين.

وهنـاك زوجـات كثريـات يجعلـن مـن أزواجهن محط سـخرية أو نقد مسـتمر أو لا تحتـرم أهله أو أنها تخرج بمشـاكلهم الزوجية خارج إطارهما ، كل هذا يدفع الرجل للبحث عن أخرى يختبىء فيها .

لكن أصارحكن القول بأن معظم الخيانات الزوجية تحدث عندما تصبـح العشـرة باهتة باردة روتينية ومن هنا يبـدأ الرجل فى البحث عن الرومانسية التى تلاشت من حياته عند أخرى .

توقفت برهة ثم قالت بجدية:

ـ أرجو أن تكونوا وقفتن على سبب خيانة زوج كلٍ منكن . والآن دعونـا نتحدث عن التيقن مـن خيانة الزوج فهنـاك دائمًا أعراض تستجد على الرجل بمجرد معرفته بأخرى ومرة أخرى أطالبكن بتطبيق تلك الأعراض على أزواجكن .

فمثـلاً غياب الـزوج خارج المنـزل وبدون مبـررات واضحة . حرصه الشـديد علـى هاتفه المحمـول واصطحابه له فـى كل مكان، إخفاء إيميلاتـه وأشـيائه الخاصة على الـ Laptop وكثرة اسـتخدامه له فى المنزل لأوقات طويلة.

فتور العلاقة الجنسـية بين الزوجيـن بطريقة تخالف ما كانت عليه

سابقًا . كثرة انتقاد الزوجة واختلاقه المشاكل لأتفه الأسباب، اهتمامه بمظهره العام وممارسة الرياضة بشكل زائد عن الحد ، كثرة سفرياته المفاجئة بدعوى العمل، زيادة كرمه وسخائه مع الزوجة وتشجيعها دائمًا على الخروج مع الأولاد لزيارة العائلة والأصدقاء أو للذهاب إلى النادى أو الرحلات .

هذه أهم الأعراض التى يجب على المرأة الفطنة أن تقف عندها وتتفحصها ولا تستخدم أسلوب الإنكار وكأن الأمر سيستقيم تلقائيًا وأنها مرحلة وستمر ، بل يجب أن ننقب بروية وحذر .

خاصة نحن النساء نتمتع بقوة حدس وندرك أشياء لا يدركها الرجال وهذه القدرة ليست مجرد شعور غامض ليس له أساس عصبى عضوى فلقد أثبت علميًا وجود نشاط كبير فى منطقتين من مناطق المخ هما القشرة الجزيرية والقشرة الحزامية الأمامية التى تجعل من الحدس عند المرأة أعلى من الرجل

توقفت برهة أخذت رشفة من كوب الماء بعدها أسترسلت:

ـ سنفترض الآن أننا قد تأكدنا من خيانة الزوج، بلا شك ستشعرين بمشاعر خوف ممزوج بالغضب العارم وجرح غائر بكرامتك ورغبة جارفة فى الانتقام، هذه كلها مشاعر مشروعة وطبيعية ولكن إياك وأن تقترفى أى أخطاء من شأنها أن تدمرى أسرتك مثل أن تطرديه من المنزل أو تتركى له المنزل وتغادرين، بل يجب أن تدخرى هذه الحركة لتكون ملجأك الأخير إذا لم تتوصلى لحل، فيجب أن يبقى تحت ناظريك حتى تعرفى عمق العلاقة بينه وبين الأخرى حتى تأخذى القرار الصائب.

واصلى مراقبة نشاطاته اليومية وانتبهى لتصرفاته، وكثرة اتصاله

بالأخرى دون أن تشعريه بذلك، لاحظى أنه كلما كان بالبيت كلما كانت احتمالات إصلاح الأمور مازالت قائمة .

من الطبيعى أنك تريدين أن تخبرى شخصًا تثقين فيه عن مشكلتك لكن كونى حذرة من اختيار الشخص الذى تريدين أن تخبريه . يجب أن تعرفى فى أسرع وقت السبب الذى جعله يهرب إلى أخرى وإذا كان السبب منك يجب أن تعالجيه فيك فورًا.

إياك أن تذلى نفسك بالاتصال بالمرأة الأخرى أو السعى لمواجهتها وأن تطلبى منها أن تدع زوجك وشأنه تذكرى أنها غير مجبرة أن تستمع إليك أو أن تأخذ أوامر منك فمضايقتها سيظهرك بموقف سخيف وقد يجعل زوجك يأخذ صفها ويتعاطف معها أى أنك تقومين بالتقريب بينهما دون أن تشعرى فقط إنسى وجودها وحاولى التركيز على إعادة زوجك إلى الطريق الصحيح.

توقفت ثانية ونظرت لنا بإمعان قائلة:

ـ تريد المرأة أن تكون الأخيرة فى حياة الرجل ويريد الرجل أن يكون الأول فى حياة المرأة ولا يعلم الإثنان أنهما ألعوبة فى يد كيوبيد إذا رشق سهمه فلا يهم من الأول ومن الأخير المهم أن يحافظ المرء على حبه بكل ما أتاه الرب من قوة ولا ينسحب عند أول عثرة.

وأخيرًا يجب أن تؤمنوا بأنكن أقوياء فإن الرجل لم يستطع حتى الآن أن يدرك مداخل ومخارج المرأة ولم يغور إلى مخابئها السرية، فهو ما زال يجهل قدرات وإمكانيات أكثر ضلوعه هشاشة.

اختتمت كلمتها وهبطت من المنصة، جلست فى مقعدى مبهورة بما قالته، أعترف أننى استفدت منها أنارت أمامى ممرات مظلمة لم

أكن أراها ، فتحت عقلى على أفكار وطرق يمكن سلكها.

تفرق الجمع، فوجئت بالسيدة ويتنى تقترب منى بادرتنى قائلة :

ـ هل استفدتى بشيء.

ـ بالكثير، أنت رائعة إن كل الأسئلة التى كانت تدور فى رأسى أجبتى عنها لقد أعطيتنى أملاً كبيرًا فى إصلاح الأمور.

ـ علا، تذكرى دائمًا ما قالته أوبرا وينفرى "لقد قررت أن أحارب من أجل ما أريده وأن أكون ما لا يريده الأخرون لى" هكذا علا يجب أن نكون.

*****

وقف نديم ينظر من نافذة حجرة نومه، إلى أنوار أعمدة الطريق الخافتة التى تنداح على الأشجار وعشب الحديقة وممرات بيته، فيحيلها موحشة تزيده كآبه وتوغر قلبه بالأسى على فقدان ميتاب وجيسيكا، يشعر بيد توضع على كتفه، يلتفت، يفاجئ بعلا ترتدى روبًا حريريًا وردى اللون، يضفى عليها هالة من الاثارة تحاول استمالته، بمداعبة شعره، وبنظراتها الهائمة الموحية.

"هل تستطيعين مساعدتى على نسيان عذاباتى النفسية، هل أنجح فى دفن ما أعانيه من لوعة وحسرة فى أحضانك"

مددت يدى، جذبت الروب، إنحلت عقدته الواهنة، أدخلت يدى مداعبًا عريها الدافىء، أُسقط الروب أحتضنت العرى الخامر .

"لم تزل فى شفتيك تلك الرجفة المشتاقة، لكنى ألمح فى قسمات وجهك تجهمًا رخاميًا وأشعر فى لمساتك بغربة كأنها ليست يديك، جسدك ينبئنى بشيء غامض تخفيه فى صدرك عنى، هيا بح أيها التعس فأنا ملاذك مهما عصفت بك رياح الأخريات، فأنا لن أتركك

لغيرى وأخسر ما بنيته بهذه السهولة . ضممته بقوة مستنشقه عبيره الذى طالما سحرنى."

"يخوننى شعاع رجولتى فى مشهد أيروتيكى خائب، أحاول أن أصمد باستماتة محارب اسبرطى قديم ينضح سائر جسدى بالعرق، تعلو أنفاسى لاهثة، يخفت ضوء آخر محاولاتى وينطفىء، لأنسحب مطأطأ الرأس غافل الطرف خاجلاً من موقفى . إلا أننى مددت طرفى بعد لحظات مستجديًا نظرة عطف أو كلمة تهوين منها."

"أين رجولتك هل مُحيت؟ أين مشاعرك هل كسيت بالجليد؟ ألهذه الدرجة أصبحت لا أستهويك لا أحرك لك ساكنًا، أضاع جسدى من مخيلتك، ألا تتذكر ذلك الجسد الذى تتملص منه هاربًا، ألست من امتصصت رحيقه وغرقت فى عسله وارتويت من بئره، أعرف أنك ممسوس بها، سأنفض عنك سحرها وأُبرئك من مسها، لن أتركك لغيرى تتملكك، سأبعثك لى من جديد بدفء حبى وسلسبيل عطفى"

حبست دمعتى فى مقلتى ودفنت حسرتى فى ابتسامتى وكسوت كلماتى بطلاء التشجيع:

ـ أراك مرهقًا اليوم يا حبيبى .

وملت عليه طابعة قبلة على جبينه، مددت يدى وأطفأت نور الأباجورة الخافت وتمنيت له نومًا هادئًا.

*****

فى غرب فيرجينيا توجد مزارع العنب ومصانعها المحلية الملحقة بها لصناعة النبيذ ويتبع كل مزرعة حانة لتذوق إنتاجها، ففى أيام الآحاد تكون هذه المزارع قبلة لكثير من الزوار لتذوق أنبذتها بدون مقابل، وهى سياسة تسويقية تتبعها المزارع من أجل إحداث رواج لمنتجاتها.

يمتلك والد جومانة، كلود خورى واحدة من تلك المزارع بالإضافة إلى اسطبلات لتربية الخيل، فقد قرر بعد خروجه على المعاش من وزارة الخارجية الأمريكية أن يهجر المدينة ويبعد عن صخبها خاصة بعد وفاة زوجته.

دائمًا ما أذهب هذه الرحلة ولكن كسائق ليموزين لتوصيل زبائن إلى تلك المزارع، لكن اليوم كانت الرحلة عائلية فلقد أخبرنى جان بأننى مدعو معه للاحتفال بعيد الشكر عند حميه، تعجبت لأنه نادرًا ما كان يذهب هو إلى هناك، ربما فى عيد الميلاد لتهنئة الرجل فقط، لكن كثيرًا ما تصطحب جومانة علا والأولاد لتقضية نهاية الأسبوع فى المزرعة، خاصة أن الرجل لديه حديقة بها الكثير من ألعاب الأطفال أقامها لجذب أحفاده دائمًا لزيارته ابتسمت وأنا أنظر إلى جان فكل هذا التحسن قد وصل إليه من عدة زيارات قليلة لطبيبه النفسى كم أضاع وقتًا طويلاً فى عدم الانصياع لزيارته .

استقبلنا الرجل بترحاب شديد خاصة الأولاد الذين يحبهم بشكل كبير، عندما تراه لا يمكن أن تصدق أنه فى أواخر العقد السادس، فقوامه الرياضى وأناقة ملبسه ووسامة خلقته تجعله يكبرنا بعدة أعوام فقط، اصطحبنا إلى داخل فيلته التى هى أقرب إلى القصور، أجلسنا فى تراس مشرف على حديقة غناء بالأشجار والبساتين ونافورات متباينة الأحجام، اعتذر منا للإنصراف مؤقتًا لاصطحاب جومانة وعلا والأولاد إلى اسطبلات الخيل التى يحبونها، جلست قبالة جان اندهشنا لوجود مذياع كبير يصدح بصوت فيروز بادرته قائلاً:

ـ إن جلسات الطبيب النفسى أتت بثمارها.

انشرحت أساريره وانتقل بجوارى و بصوت بشوش فرح قال:

ـ بالأمس مارست الجنس مع جومانة لأول مرة منذ شهور طويلة .

توقف برهه ثم نظر فى عينىّ قائلاً بجدية :

ـ نديم عليك أنت أيضًا زيارة هذا الطبيب إنه رائع.

قبل أن أرد عليه ، دخل علينا كلود ، رحب بنا مرة أخرى ، جلس وهو يقول:

ـ أراكم مستمتعين بصوت فيروز ، إنها إحدى المحطات العربية على موجة FM وهم يخصصون كل يوم لمطرب معين ولحظكم أن اليوم لفيروز .

دخلت علينا خادمة تحمل صينية قهوة تركى ، لاحظ استغرابنا ، فأخبرنا بأنه متيم بالقهوة التركى وأن لديه صديقًا يمنيًا يجلب له البن المحوج بشكل منتظم.

صدحت فيروز بأغنية القدس العتيقة ، أخذنا ننشدها معًا "الغضب الساطع آت وأنا كلى إيمان" عقب جان:

ـ لها سنين طويلة تردد الغضب الساطع آت ولكنها للأسف لم تحدد زمن وصوله.

رد عليه كلود بصوته الهادىء بعد ما أخذ رشفة من فنجان قهوته:

ـ من خبرتى فى السياسة أؤكد لك أن منطقة الشرق الأوسط مقدمة على تغيرات كبيرة تفوق الخيال.

اعتدل جان فى جلسته مخاطبًا كلود :

ـ هذا تكهن من واقع خبرتك أم معلومات أكيدة من مصادرك؟

ـ ربما الاثنان .

قلت فى حماسه:

ـ سيد كلود إن استقلال الأوطان نوعان استقلال يطرد المحتل ليبنى ويطور الوطن، و استقلال دولنا الذى يرغم المواطن على الحنين لأيام الاحتلال ويتحسر على أيامه، صدقنى القول عندما أقول لك أن شعوبنا تريد التغيير لتتخلص من العصابات التى تحكمها حتى ولو كان ذلك عن طريق التدخل الخارجى أو المؤامرة . لأن فى النهاية نحن الفائزون لتخلصنا من هذه الأنظمة الفاسدة، وقتها سنمتلك مقدراتنا بأيدينا و لن يجبرنا أحد على فعل ما لا نريده.

ـ معك حق يا ولدى، المهم هو توافر النيات الحسنة لبناء الأوطان.

تدخل جان قائلاً:

ـ كلود نحن هنا لنرتشف من فيض خبراتك وصولاتك مع النساء وليس لخبراتك وحكمتك السياسية

ابتسم الرجل قائلاً:

ـ وماذا تريد أن تعرف عن النساء يا جان ؟ ألا تكفيك ابنتى.

ـ يا حماى العزيز، أريد فقط أن أتحصن من غوايتهن .

ـ يا عزيزى لكل رجل معركته الشخصية مع غواية الشهوة، فبحث الرجل الدؤوب عن المرأة وجسدها الجميل هو البحث عن الكمال، فيوجد فى أعماق اللاوعى للرجل بأن لديه جزءًا يسعى للوصول إليه حتى يستعيد كماله باستعادة الجزء الذى تم استئصاله منه، بالإضافة أننا جميعًا لدينا رغبات شهوانية وهى مرتبطة ومعلقة بشيء وحيد وهو الارتواء الجنسى وإن شعور الصواب والخطأ يذهب أدراج الرياح من أجل لحظة متعة

تدخلت بشغف فى الحديث:

ـ لكن ربما ينجرف الرجل ويتخطى الارتواء الجنسى ويصل لدرجة الوقوع فى العشق ويجد نفسه وسط دوامة مقارنة بين حبه لزوجته وصديقته

ـ الرجل يا سيد نديم لا يستطيع أن يحب إلا واحدة فقط، ربما تتعدد علاقاته العاطفيه فى نفس الوقت، لكنه لا يحب منهن سوى واحدة.

قال جان وهو يحدق فى:

ـ لكن كيف نحارب ذلك الاغواء فى داخلنا.

ـ مارك توين يقول "هناك عدة طرق لمقاومة الاغواء والطريقة المثلى أن تكون جبانًا" لكننا يا سادة ليس معظمنا جبناء، قالها ورشف ما تبقى من فنجان قهوته.

ارتشفت أنا أيضًا فنجانى شاعرًا بنشوة ممزوجة بفرحة شجية تسكب فى فنجان قهوتى التركية وأنا استمع لنصائحه، استرسل قائلاً:

ـ خذها من عجوز مثلى يلملم عمره، مر بتجارب طويلة تراها فى خطوط تجاعيد وجهه إن أمثل الطرق لتجنبه يكمن فى ثلاث كلمات. أتعلم يا سيد نديم لماذا يبرمون عقود الزواج عند المذبح بالكنيسة، لأن فيه يحدث تضحية من كلا الطرفين، ففيه تتبادل العهود والمواثيق، وبعد العيش معًا لفترة ندرك أن علينا أن نتغير إذا أردنا أن يدوم زواجنا، فيجب على كل طرف أن يتنازل ويتخلى عن بعض هواياته وعاداته وهذا يا عزيزى ما نطلق عليه المرونة وهى الكلمة الأولى فى نجاح الارتباط والبعد عن الإغواء، ثم إننى بعد هذا العمر الطويل توصلت إلى حقيقة

هامـة وهـى أن هدف الأغـواء دائمًا هو الجنس، الـذى هو مجرد إرضـاء للنفس عندما لا تصل إلى الحب الحقيقى، إذن الحب هى الكلمة الثانية لمحاربة الإغواء داخلنا فيجب أن نبحث عن الحب فى شـريكة حياتنا وتأكد من أنه موجود و إلا لما ارتبطت بها، إذن يكـون عليـك أن تنفض عنه الغبار وتزيل الصدأ الذى أصابه ليبـرق من جديد، أما الكلمة الثالثة يا عزيزى جان للتحصن من الإغـواء هى الـرب، نعم القدرة والرغبة فى التقرب من الرب فهى الحصن من الغواية.

فى طريق عودتنا بالسـيارة، فكـرت فيما حدث، وبت متأكدًا أن مقابلتـى مع كلود هـو أمر مرتب من البداية فهذه هـى طريقة جان فى اعطـاء النصـح، فبرغم من علاقتنـا الوطيدة إلا أنـه لا يحب أن يرتدى عباءة الناصح بل دائمًا ما يغلف مواعظه بطرق غير مباشرة ربما حتى لا يجرح مشاعرى، وها هى واحدة منهن وإلا بم أفسر إصراره على دعوتى هـذا العـام للأحتفـال بعيـد الشـكر، وأن يفتح سـيرة غـزوات كلود النسـائية ونظراته لى وهو يستفسـر عن محاربة الاغواء داخلنا . نظرت له نظرة موارية وجدته يبتسم لى ابتسامة ذات مغزى.

*****

على إحدى الطرق الجانبية المتفرعة من الطريق السريع لفرجينيا، توجـد مزرعـة صغيـرة، يقف حـول مبناها عـدد كبير من السـيارات والدراجـات البخاريـة، الشـيء اللافـت للنظر أن معظـم رواد المكان حليقو الرؤوس ويرتدون غالبيتهم الملابس الجلدية.

ترجـل جـون ويلكـس من علـى دراجتـه البخاريـة، اتجه إلـى باب المبنى، دلف منه إلى قاعة فسيحة تعج بالرواد كسيت جدرانها بصور

أدولف هتلر فى أوضاع مختلفة وزيلت كل صورة بقول مأثور من أقواله مثل "ليست الحقيقة ما يهم وإنما النصر" وثانى "الإنسانية هى تعبير عن الغباء والجبن" وآخر "النجاح هو المقياس والقاضى الوحيد فى الدنيا بين الصواب والخطأ" وهناك عدة صور أخرى لبعض قادة النازية أمثال هيس وجوبلز وصورة لمؤسس الحزب النازى الأمريكى جورج لينكولن روكويل، يتدلى من سقف القاعة أعلام ورايات مختلفة الأشكال للنازية بصليبها المعقوف.

فتح باب جانبى وخرج منه عدة رجال يحيطون بواحد منهم قصير القامة حليق الرأس مثلهم حاد النظرات ذو قسمات صارمة، يرتدى الملابس العسكرية النازية أعتلى منصة عالية فى صدر القاعة، نظر للجمع طويلاً، خفت الصوت، سكن الهمس وعم الهدوء، صاح الرجل بصوت جهورى أجش:

ـ من الأسمى .

صاح الجمع مرددًا وراءه فى حماسه:

ـ نحن.

ـ من الأنقى .

ـ نحن.

ـ من الأعظم .

ـ نحن

ـ فليصل صوتى إلى مختشى العالم الأوغاد السماسرة وكبار المحتالين فى بلادنا، والى الأقليات النجسة التى شوهت مجتمعنا ووصمته بالعديد من الأمراض والعلل، فها نحن تنهش أجسادنا البطالة لمشاركتهم أعمالنا و مأكلنا ومشربنا ومسكننا، بل

تطـاول أحدهم وأصبح رئيسًـا علينا وتلـك الحيوانات القادمه من بلاد الصحراء الذين يريدون تدميرنا ، وحشرات الهوام من اليهود الذيـن يتحكمون فى أرزاقنا ، فطوبى لمـن يرفع حجرا فى وجه أحدهم ليسحقه به ، حتى نبيدهم جميعًا.

ألهبت كلماته الأخيرة حماسة الجمع، فرددوا وراءه: نحن، نحن.

صاح جون ويلكس بصوت ينفجر حماسة وجسد ينتفض ثورة:

ـ نحن للأوغاد.

ومد يده متحسسًـا مسدسه تحت ملابسـه ، قبض عليه بيده متمتمًا بنبرات تقطر كراهية وحقد :

ـ سنبيدكم يا ديدان الارض.

*****

"كانـت شـموس مجرتـى دائمة الاشـراق مـن أجلك ، كنـت على اسـتعداد لأن أحضـر لـك رأس ميدوسـا قربانًـا ، أن أرفـع لـك الكرة الأرضية وأكون طاليس ، أن يتلاشـى جسـدى كسيميراميس وأصبح حمامـة تهـدل بحبك ، لكنـك أردتى أن تتلاشـى بداخلـى ، فأصبحت كطيف جاء وذهب"

كـم أنـت رقيق وقاسٍ يـا نديم ، ماذا كنت تريد منى؟ أن أستسـلم لك ليزداد عدد الخائنات فى العالم واحدة أخرجنى النادل من خواطرى بوضعه فنجان الكابتشـينو على المائدة وابتعد ، نظرت مرة أخرى إلى شاشـة الـ Laptop ولكلمات نديم المؤثـرة ، ماذا كنت تريد منى؟ أن أبيـع أسـرتى من أجل دقائـق متعة زائلة ، لا أنكر أننـى أتعذب بفراقك . حبسـت نفسـى فى منزلى ، أهملت مظهرى ، جاهدت لأنسـاك بشـتى الطرق ، حاولت إصلاح ما فسد بينى وبين نجاد ، لكن بلا جدوى ، فهو

يقابل كل تصرف منى بما يزعج القلب ويشوه المشاعر. لتعاودنى من جديد مئات الهواجس بأننى لن أراك ثانية ، بت أحلم بأن يصدح صوت الـ Laptop ويعلن قدوم رسالة منك لأتخذها ذريعة لأراك من جديد ، لكنه جثة هامدة مما أدى إلى غرقى فى عذابات الفراق.

بالأمس أحسست بأن البيت سجن تجرد من دفئه بات يلفظنى ، الأشجار من حوله عُريت أوراقها ، تحولت لأشباح شيطانية ترهبنى ، لم يعد هناك جيران يؤنسوا وحدتى اختفوا فجأة ، ذهبت أختبىء فى دفء سريرى لأفيق فى الصباح على اسمك يتراقص فى رأسى فى طعم لعابى بين شفتى ، قمت مسرعة إلى الـ Laptop فتحته بلهفة فائقة ، كانت أصابعى تسابق دقات قلبى ، أكتب بحروف من اشتياق أطرد مع كل كلمة شعور الهجر ولوعة الفراق ، لكن مع اتمام الرسالة مسحتها لم تطاوعنى كرامتى .

لكننى اليوم قررت انهاء عزلتى والرجوع إلى العمل ، وها أنا أجلس على مائدة فى صدر الكافيه ، ربما أردت أن أعلن عن ظهورى ، لعلك تلوح أمامى بابتسامتك المشرقة وفى يدك وردة ، تطلب السماح بالجلوس أتمنع وأرجو ألا تغادر ، تتوسل فأسمح لك بالجلوس تحملق فى كعادتك .

يقترب النادل ليأخذ طلبك . حينها فقط أفيق على حضورك وأنها ليست تخيلات ، فها أنت والبراح فى عينيك تحملقان فىّ ، وشفتاك ما برحتا تعتذران عما بدر منك وتسوق العذر تلو العذر.

ـ أنت من شجعتينى بإرسالك صورة تلك الفتاة العارية وسؤالك لى ، نديم لأى مدى تشبهنى ؟ أتريدين أن تأتينى هذه الرسالة ولا أشيط هياجًا !

ـ نديم إنك حتى لم تمهلنى وقتًا للإنفراد بنفسى للتهيؤ لمثل هذه الأمور، انقضضت على كالوحش عند التهامه فريسته، إنك لا تفكر إلا فى اشباع غرائزك دون اعتبار لأى عواقب .

ـ أنت أيضًا لم أتوقع منك كل هذا المنع والرفض تجاهى ثم ماذا كنت تقصدين بقولك "لا .. ليس ثانيةً"، لقد كررتيها أكثر من مرة.

فوجئت بأنه انتبه لهذه الكلمات على الرغم من صخب الحدث، لكن من الواضح أنه حلل ما حدث بترو وبكل دقة، نظرت له مليًا وأخبرته باغتصاب ابن عمى لى بكل وحشية وأن ما حدث فى الموتيل ذكرنى بالماضى . توقفت لبرهة أخذت رشفة من فنجان الكابتشينو أخبرته أنه بسذاجتى قد حكيت لنجاد ما حدث لى من ابن العم، فى وقتها لم يتأثر بما سمع، لكنى أحسست بأنه حدث شرخ يكاد لا يرى فى علاقتنا، بدأ ينمو بعد زواجنا بواسطة عقليته الضيقة الضحلة، حتى بدأ يظهر بوضوح على جدار علاقتنا وتمكن الشك من نفسه المريضة وأخذ يعايرنى فى كل مناسبة بأننى من شجعت قريبى على اغتصابى وأننى عاهرة بالفطرة وعلى استعداد لخيانته مع أى عابر سبيل، كم هو قاسٍ هذا الرجل أصبحت علاقتنا لا تحتاج سوى مجرد نقرة خفيفة على جدارها لتتحطم بكل سهولة.

مد يده ولمس وجنتى فى حنان:

ـ أنا أحبك ميتاب وأنت تحبيننى لا تنكرى، فلماذا لا نفكر بأن نترك كل شيء وراءنا ونبتعد .

نزلت كلماته على كالسيف البتار، دمعت عيناى، أحسست بغضب جامح يجتاحنى لم أعد أسمع سوى صوت ابنى يناديني وغناء

إبنتى الطفولى، نهرته بشدة ونعته بالجنون وأمرته بالصمت، هب فى قائلاً بانفعال:

ـ هل تتصورين أننى أتفوه بهذه الكلمات الموجعة بسهولة؟ هل تتصورين أننى لا أتمزق لمجرد ورود هذه الأفكار على مخيلتى، بالله عليك أنا لست أنانيًا ولكنه مجرد خاطر مر على بالى فى لحظة يأس.

أخذت أتخيل الخطوات الأولى لأبنائى، مراقبتهما وهما يكبران، كم مرة أحصيت أنفاسهما وهما نائمان لأطمئن على سلامتهما، هل يمكن أن أتركهما خلف ظهرى بكل بساطة وألا أراهما من جديد، فاضت دموعى كشلال غاضب، مد يده مرة أخرى، ليعطينى منديلاً لمسح دموعى، احتضنت يده بكفى ورفعت عينىّ إليه، لمحت من ورائه قامة ريتشارد زميل نجاد بالعمل كان ينظر لى باستغراب ثم خرج مسرعًا من الكافيه.

شعرت بأن قلبى يكاد يقف، جحظت عيناى فزعًا، لاحظ نديم هلعى:

ـ ماذا حدث؟

أشرت إلى باب الكافيه قائلةً بصوت مخنوق:

ـ إنه ريتشارد زميل زوجى، لقد رآنا.

حاول طمأنتى بأن موقفنا طبيعى، إنك تتناولين غداءك مع زميل لك فى العمل، لكنى أعرف زوجى وخيالاته المريضة، قمت مفزوعة مغادرة المكان وهو ورائى يحاول تهدئتى حتى ركبت سيارة أجرة إلى منزلى.

*****

(٩)

جلست فى حجرة المعيشة وحيدًا بعدما خرجت علا مع جومانة تاركة لى الأولاد ، تناولت هاتفى وأخذت أحاول الاتصال بميتاب مجددًا ، يومان مرا ولا أعرف شيئًا عنها ، لا تجيب على اتصالاتى ولا ترد على رسائلى ، يقتلنى التفكير عن مصيرها ماذا صار بينها وبين زوجها ، هل عرف بلقائنا فى الكافيه؟ هل واجهها؟

كم يعتصرنى القلق ، عندما يطوى النهار صفحته ، ويبدأ الليل ينفث روحه و همس كائناته .

أرفع ناظرى لأجد ابنى يقف أمامى ، ترتسم على وجهه سحابة حزن تزيد سنوات عمره الثمانية عدة سنوات أخرى .

ـ ماذا بك يا حبيبى؟

بصوت خافت لا يكاد يسمع:

ـ هل ستتركنا يا أبى وترحل؟

تفاجئنى كلماته ، تضطرب ضربات قلبى تعلو لتصم أذنَىّ ، تتقافز الهواجس داخل رأسى وتقذف فى وجهى بمئات من الأسئلة المحيرة ، هل كان يسمعنى عندما قلتها لميتاب؟ أم سمعها من أمه؟ ابتلعت ريقى بصعوبة أخذته بين ذراعى وقلت له بصوت حنون مرتعش:

ـ من قال لك هذا الكلام يا حبيبى؟

ـ بيتر زميلى فى المدرسة أخبرنى بأن والده تركهم ورحل مع امرأة

أخرى.

تنهدت ارتياحًا وحمدت الله، طمأنته بأنى لا أستطيع الحياة بدونه هو وأخوته وإننى لن أتركهم أبدًا.

رن الهاتف، جاء صوت جان فرحًا مسرورًا:

ـ افتح CNN بسرعة، واضح يا نديم أن الشعوب العربية بدأت تفوق من سباتها العميق، انهم بدأوا يفتحون أفواههم خارج عيادات أطباء الأسنان.

ـ ماذا حدث يا جان؟.

ـ من الواضح أنك فى غيبوبة، يا حبيبى نجاح ثورة تونس وهروب رئيسها جعل فنار الوطن العربى ينير من جديد اليوم، لقد نزل فى مصر آلاف المتظاهرين فى شوارع القاهرة وعدة مدن أخرى فيما أسموه يوم الغضب.

ـ ماذا تقول؟!!

أغلقت الهاتف وأخذت أراقب شاشات التلفاز، متنقلاً بين القنوات الاخبارية، كان آلاف المتظاهرين من كافة طوائف المصريين فى الشوارع يرددون عيش، حرية، عدالة اجتماعية. غزت جسدى قشعريرة الحماسة ونشوة الحرية حملت ابنى وأخذت أصيح بأعلى صوتى مصر .. مصر .. تحيا مصر.

*****

قاربت الفرشاة الصغيرة من شعيراتى البيضاء لإخفائها تحت لون الصبغة، كم سئمت أن أتجمل وأرتدى العارى والمثير والتبختر أمامه، مللت استمالته والعزف على أوتار غرائزه، إنه لم يعد لى، ألمح فى عينيه الفتور وعدم الرغبة، تلك العيون التى طالما بدرت بذور الحب بدربى،

وزرعت النعناع والياسمين ليلتف حول قلبى درعًا حاميًا . كان شجرة وارفة أفىء إليها لأطفىء فى ظلها لفحات هجيرى، فأصبح صبارة لا تظل بل تدمى من يقترب منها . أترك الصبغة على شعرى عدة دقائق، أذهب لأراقب شاشة التلفاز، مازال ما يحدث فى مصر يجذب انتباه فضائيات العالم بأسره، قناة الجزيرة تعرض مليونية فى ميدان التحرير الكل يردد على قلب رجل واحد "الشعب يريد اسقاط النظام" . نعم كلنا نريد اسقاط ذلك النظام الأبوى الذى يفرض العيش تحت وطأة شروطه الخاصة كم ظلمت نفسى لعدم تحقيقى ذاتى بإكمال تعليمى الجامعى وخوض غمار مجال العمل للاعتماد على نفسى كليًا دون الاعتماد على رجل قد يعطينى ظهره لملاقاة أخرى لمجرد شعوره بالملل منى .

يرن جرس الباب، أذهب لأفتح، كانت جومانة، تدخل بوجه بشوش:

ـ أين أنت لا تجيبين على هاتفك؟

ـ ربما لم أسمعه.

ـ المهم عندى لك خبر بمليون دولار.

ـ إلحقينى به.

ـ المشروع الذى طالما حلمتى به ليؤمن لنا استقلالنا المادى عن أزواجنا .

ـ بجد

ـ طبعًا بجد ، فيلا والدى التى توجد على مقربة منك، سنحولها إلى دار متكاملة لرعاية الأطفال من حديثى الولادة إلى سن ثلاث سنوات .. ما رأيك؟

احتضنتها بشدة:

ـ أنت لا تعلمين مدى سعادتى .

ـ ولقد ذهبت اليوم إلى مبنى بلدية العاصمة وقدمت طلبًا للحصول على رخصة مزاولة ولقد حددوا الأسبوع القادم لقدوم لجنة لمعاينة المكان.

ـ أنت عظيمة يا جومانة .

نظرت جومانة إلى شاشة التلفاز قائلة:

ـ أرى أن سقف المطالب قد وصل إلى تغيير النظام .

ـ تعرفين جومانة إن حالى يشبه كثيرًا حال مصر، فهى محتلة باحتلال بلون الوطن كما إننى محتلة بحب رجل لا يريدنى، هى تريد الاستقلال وأنا بت مسكونة بفكرة الانفصال.

ـ ما هذا الكلام أين قناعتك بما سمعتيه فى محاضرة جمعية المرأة، المحافظة على أسرتك والمحاربة من أجل حب حياتك.

ـ لا فائدة جومانة لقد حاولت كثيرًا بلا جدوى، انه ليس نديم الذى أعرفه إنه شخص غريب.

ـ أرجوك علا لا تسمعينى ما يحبط وتمسكى بحب حياتك.

ـ جومانة إن ما يهمنى الآن هو المحافظة على أولادى وأن أحقق ذاتى التى أهملتها منذ سنوات طوال.

*****

مطعم ومقهى Tarbouch يقع على طريقHwy Lee بأرلنجتون بولاية فرجينيا وهو عبارة عن مطعم مأكولات شرقية ويحيط به تراس ضخم مغطى بمشمع مخصص كمقهى لتناول المشروبات وتدخين الشيشة ديكوراته على الطراز الحديث يغلب عليها اللون الأحمر، فالسقف

موشى بالمواسير الحمراء الضخمة والمقاعد من المعدن الخفيف، وشاشات عرض عملاقة لمتابعة الأحداث العالمية الهامة مثل مباريات كرة القدم، لكن هذه الأيام الشاشات كلها لا تفارق القنوات الإخبارية والأحداث الجارية فى مصر والوطن العربى والتى عرفت بثورات الربيع العربى.

ما يميز طربوش أن نادلاته جميعهن من الروسيات الجميلات اللاتى يرتدين الزى الموحد ذا الألوان المبهجة والابتسامة لا تفارق وجوههن، ويمتلك المطعم عائلة لبنانية .

دعانا اليوم جان للاحتفال بليلة وداع عزوبية سامى، الذى اختار إحدى قريباته لتكمل معه مشوار حياته، فتاة مهذبة على قدر من الجمال، رآها فى حفل زفاف ابن أخيه الذى حضره فى مصر منذ شهر، أعجبه فيها هدوءها وخجلها، وعندما رشحها له أخوه لم يتردد فى طلبها للزواج، فهو يريد أن يخرج من كهف هيلين المظلم لتشرق شمس حياته من جديد . دخلت إلى قاعة المطعم لمحت جان كعادته يتبوأ مائدته المفضلة فهو إذا كان يعامل كلورد فى Hookah Bar فهو يعامل كصاحب مكان هنا لصداقته مع ملاكه منذ الطفولة.

احتضنت سامى مهنئًا، نظر لى جان قائلاً:

ـ رأيت خطاب الرئيس المصرى وإعلان عدم ترشحه مرة أخرى للرئاسة وعزمه أن يموت ويدفن فى مصر، لقد أبكى العرب.

رد سامى:

ـ لولا بلطجية حزبه ومهاجمتهم فى الصباح الثوار بميدان التحرير بالخيول والجمال والأسلحة لأنفض الاعتصام وهدأت الأمور.

عقب جان:

ـ هذا من غباء النظام، فإن الثوار يدعون إلى مليونية فى الرابع من فبراير يطلقون عليها جمعة الرحيل، يطالبون فيها برحيل الرئيس وتنحيه عن الحكم.

قاطعته قائلاً:

ـ جان لقد جئنا اليوم للاحتفال بسامى فدع ثورة مصر لثوارها فهم أجدر بأن ينجحوها ودعنا نحتفل بسامى .

نظرت إلى سامى قائلاً:

ـ هل قفلت صفحة هيلين نهائيًا؟

نظر لى بجدية وهو يقول:

ـ فى بعض الأحيان نديم لا يفيد قلب الصفحة، بل يجب عليك تمزيقها .

ابتسمت له:

ـ الآن عرفت أنك نسيتها تمامًا، ألف مبروك عليك حياتك الجديدة.

قام سامى ملبيًا نداء أحد أصدقائه فقال لى جان:

ـ ماذا بك؟ نظراتك شاردة وواضح من حديثك أن هناك ما يشغل بالك .

ـ إننى أعانى من بعض التوتر لدرجة أننى أفكر فى أن ترتب لى ميعادًا مع طبيبك النفسى.

ـ قرار صائب تمامًا، لقد بت مقتنعًا بأن على الإنسان الطبيعى أن يذهب لزيارة الطبيب النفسى مرة على الأقل كل عام.

*****

obeikandl.com

تناولت القلم وبدأت أخط على الورق الأبيض بما يجود به عقلى "كانت نفس جبران تهفو دائمًا إلى المصارحة والمجابهة وجلد الذات فيسألها ترى هل أنا وحدى المأخوذ بالصغير المحدود دون العظيم الفسيح، ترى هل أنا وحدى رهين الظلمتين الأنانية والاستكفاء، ترى هل ولدت وحدى عبر الغيبوبتين الجحود والنسيان"

يستعصى القلم فى يدى أن يتحرك ويأبى عقلى أن يتوقف عن التفكير فى ميتاب ومصيرها المجهول وها هو موعد تسليم موضوع جبران يقترب ومازلت غير قادر على إكماله . شعرت بالملل والرتابة تخنقنى، نظرت فى ساعة يدى، تشير إلى الحادية عشرة والنصف، لملمت أشيائى وغادرت المكتب هابطًا إلى بهو المبنى استرعى انتباهى منذ فترة اننى لم أعد أرى ذلك الشاب العنصرى، توقفت سائلاً عليه أحد زملائه، أخبرنى بأن الإدارة أقالته من وظيفته، شعرت بالارتياح عند سماعى لفظة إقالة فهى بداية لنبذ التعصب والعنصرية من المجتمع الأمريكى بأسره، فما إدارة البناية إلا شريحة من المجتمع .

رن هاتفى معلنًا قدوم رسالة، أخرجته من جيبى، خفق قلبى بشدة عندما لمحت عينى كلمة ميتاب تضيىء الشاشة، فتحت الرسالة بلهفة بالغة، كانت مقتضبة "قابلنى ضرورى الآن فى مطعم Guarako استقليت سيارتى التى كانت معى اليوم بالمصادفة، وأخذت أتساءل طوال الطريق، لماذا اختارت ميتاب هذا المكان البعيد ؟، إنه يوجد على طريق ويلسين بأرلنجتون فى فرجينيا.

Guarako مطعم أسبانى وبه صالة لتدخين الشيشة وبار، كان المكان هادئًا ، قليل الرواد فى هذه الساعة لمحت ميتاب تجلس فى صالة الشيشة ممسكة بكلتا يديها بمشروب ساخن تتصاعد أبخرته من فوهة كوبه تحتمى به من صقيع الجو، كان شكلها مهملاً ترتدى

قبعة صوفية على رأسها وجينز وجاكت أسود اللون مغلق سحّابه حتى أعلى رقبتها ، وتضع فوق عينيها نظارة سوداء تغطى معظم وجهها ، جلست قبالتها قائلاً :

ـ أين أنت ، كنت سأجن لأعرف أخبارك وأطمئن عليك؟

ـ أنا بخير.

ـ أرى أنك لست بخير إطلاقًا !!

مددت يدى ونزعت نظارتها الشمسية من فوق عينيها ، هالنى ما رأيت ، كدمة تفرش إزرقاقها الداكن حول عينيها وفوق حاجبها .

ـ من فعل بك هذا؟

أخبرتنى بصوت حزين بأنها ذهبت إلى منزلها بعد أن تركتنى مذعورة فى الكافيه عقب رؤية زميل زوجها لنا عند مدخل منزلها ، أدهشها رؤية وردة حمراء مشبوكة بالقرب من زجاج سيارتها ، أمسكتها بفرحة معتقدة بأن زوجها من وضعها لها لمصالحتها عما بدر منه بالأمس حينما تطاول عليها بالسب عند مناقشتهم سويًا دخلت المنزل وجدته يقف متحفزًا فى انتظارها ، اقتربت منه مبتسمة ، شاكرة له على الوردة الحمراء ، صاح فى وجهها بغضب بأنه لم يضع أى ورود وقال مستهزئًا :

ـ أكيد عشيقك الجديد هو من وضعها لك يا عاهرة .

أوقفتها دموعها المنهمرة عن إكمال الحكى ، أخذت تمسحها بكلتا يديها مكملة بصوت ناشج:

كما قلت لك إن زميله سيخبره بأنه رآنا معًا ، بل من الواضح أنه أضاف من وحى خياله الكثير من التوابل الحريفة لجعل حكايته مثيرة ، وهذا ظهر جليًا فى رد فعله العنيف ، تصور أنه أمسكنى من

ذراعاى بقسوة بالغة وصرخ فى وجهى قائلاً "وصل بك العهر أن تمارسى الجنس مع عشيقك فى الكافيه" أصابتنى صدمة عنيفة، شعرت بالقهر والظلم، صحت بهستيرية فى وجهه بأنك نديم زوج صديقتى علا المصرية وقابلتنى صدفة وأصريت على دعوتى على فنجان قهوة وكانت جلستنا فى منتهى الرقى والأدب، أنا لا أعرف نديم كيف نطقت بأسمكما فى سياق حديثى الهستيرى، ربما لاعتقادى بأننى أضفى على حديثى نبرة صدق أو ربما للاستئناس بهما فى مواجهة هذا الطاغوت، لا أعرف نديم لقد كنت فى حالة انهيار، ومن الواضح أن كلامى لم يقنعه، نظر لى بشيطانية، لمحت فى عينيه لأول مرة الكره لى، شعرت بأنه رجل آخر غير الذى أحببته يومًا، وأرتضيت به زوجًا أعيش فى كنفه آمنة. فى لحظة ترك ذراعاى ورفع قبضته موجهًا لوجهى لكمة قوية وهو يصرخ فى: "أوتنطقين باسمه يا عاهرة" اختل توازنى لترتطم رأسى بعنف بحافة مائدة الطعام وأنا فى طريقى إلى الأرض، لأسقط مغشيًا على ولم أدر بنفسى إلا وأنا ممدده فى إحدى المستشفيات، وتقريرى الطبي يشير الى، ارتجاج فى المخ وخشونة فى الفقرات العنقية، مدت يدها لتنزل سحاب الجاكيت لتظهر رقبة بلاستيكية تحيط بعنقها، إضافة إلى عدة كدمات فى أنحاء جسدى. وعرفت أن الجيران هم من استدعوا البوليس والاسعاف.

اضطربت أفكارى وأنا أسمع منها بأنها أفصحت لزوجها عن اسمى، لكنى تمالكت أفكارى وهدأت من روعها وسألتها:

ـ أين تقيمين الآن؟

ـ أنا والأولاد نقيم فى منزل ابنة خالتى بعد خروجى من المستشفى أمس وهو فى الجوار، لذلك فضلت أن نتقابل هنا، لأنى ما زلت لا أقوى على الخروج لمسافات بعيدة. أنا بمجرد أن تمالكت قواى

اتصلت بك لأقابلك وأحذرك من هذا المجنون .

قالتها ووقفت بحرص:

ـ أنا يجب أن أغادر الآن .

ـ سأرافقك حتى المنزل .

ـ لا داعى فابنة خالتى تنتظر فى السيارة، المهم أن تتوخى الحذر لأن هذا المجنون هددنى بالانتقام منك عدة مرات.

ابتعدت بخطوات متعبة منكسرة، بينما مكثت مكانى صامتًا ساكنًا مشلول التفكير فيما سمعته.

السيارة تشق الطريق بصعوبة وسط الجليد المتساقط، الذى طالما يكسو الأشياء بلون النقاء، إلا أنه اليوم كان فى عينى كغول أبيض يبتلع أمامه الأشجار والنبات البنايات التماثيل وأسفلت الطريق، كل شيء من حولى يزيدنى وحشة تغلق القلب.

أوقفت السيارة أمام منزلى لكنى لم أقوَ على مغادرتها، أشعر بأن الجو خانق رغم برودته، أنزلت زجاج السيارة، لفح وجهى الهواء البارد، استنشقته ملء صدرى عله يريحنى، شرخ سمعى مواء قط جائع ونباح كلب ضال وسديم الليل من حولى زادنى رهبة، أنظر إلى نافذة منزلى، نديف الجليد يهطل عليها متئدًا ليغطى معظمها، ألمح خيال علا من وراء ما تبقى من زجاجه، يؤنس وحشتى، كم أحسدها على قوة ارادتها ومتانة شكيمتها على مواجهة المشاكل وإدارة حياة أسرتنا وصبرها واحتمالها سلبيتى وأنانيتى.

شردت متسائلاً هل كل ما جرى حقيقة كالحلم أم حلم كالحقيقة، وهل على حقيقة أن أعبر هذا الباب وأعترف لزوجتى بخيانتى لها . فالحل الأمثل لهذا المأزق إعطاء مصداقية لرواية ميتاب

لزوجها بأنها صديقة علا . لذا يجب أن تقر علا بذلك لمن يسأل . لكن كيف أخبرها ؟ وبماذا ؟:

"إننى أحب امرأة أخرى وأن زوجها سيقتلنى إلا إذا ذهبت له وأخبرته بأنك صديقة زوجته" أم أعترف لها ببساطة "علا يا حياتى إننى ألهو مع أخرى تدعى ميتاب وأريدك أن تتصلى بزوجها وتخبريه إنك صديقة حميمة لها وأن زوجى قابلها صدفة فى الـ Lunch Time" . آه يا ربى أشعر بأننى أصبحت ظلاً بلا أصل كلمات بلا أحرف، كم قاسية الحياة، بل كم نجعلها نحن قاسية بأفعالنا.

لكن للأسف هذا هو الحل الوحيد ، فلو عرف الرجل أن ميتاب قد كذبت عليه، فسيكون انتقامه منا عنيفا ، فهو يعمل فى إحدى الجهات الأمنية وبجهد بسيط منه يستطيع أن يصل إلى ويؤذينى فى بيتى وعملى بل إنه ممكن أن يقتل ميتاب المسكينة .

ترجلت من السيارة، كانت صدى خطواتى ترتجف كلما اقتربت من عتبة الباب، توقفت أمامه، سكنت حركتى للحظات حتى أتمالك ساقاى وتتلاشى رعشتهما ، بيد راجفة وضعت المفتاح فى الباب وأدرته ببطء فاجأتنى بوجودها بقرب الباب.

ـ أخيرًا عدت، أين كنت؟ لقد تأخرت كثيرًا عن موعدك وهاتفك مغلق.

ـ أنا آسف يا علا .

ـ أحضر لك شيئًا تأكله .

ـ لست جوعانًا .

ماذا أصابه؟ يقف شاردًا تائهًا ، يهذى بكلمات غير مفهومة .

ـ أبك شيء؟

يقترب منى، ألمح فى عينيه نظرة استعطاف، إنى أعرفها جيدًا إنها عنوان لوجود مشكلة أوقع نفسه فيها

ـ علا .. أريد أن .. أن .

ـ ماذا بك نديم؟ أهناك مشكلة.

بأنفاس لاهثة، يخرج صوته ضعيفًا مهزومًا:

ـ نعم علا، نعم هناك مشكلة كبيرة .

ـ أرجوك، اهدأ، اهدأ.

سحبته من يده وجلسنا سويًا فى حجرة المعيشة .

ـ خذ نفسًا عميقًا واحكِ لى بهدوء.

بصوت خافت متردد:

ـ علا.. لا أعرف كيف أبدأ؟ ولكنى أعرف أن قلبك رحيم وعقلك راجح وسوف تقدرين ما أقوله.

بدأ يحكى ويعترف ضمنيًا بمعرفته بأخرى ؟ قال أنها صديقته وأنه كان يتحين الوقت الملائم لكى يعرفنى عليها، أخذ يسهب ويشرح ملابسات الورطة التى وضع نفسه فيها . سال منى صمت ممزوج ببكاء مر وأنا أسمع تفاصيل خيانته لى على الرغم من انه يكسوها برداء الصداقة البريئة، إن مشاعرى تجاهه احترقت بالظن على مدار الشهور السابقة إلا أنها تفحمت الآن باليقين، وجدت نفسى أثور فى وجهه عندما نطق أمامى باسمها.

كفى نديم كفى، أى صداقة تتكلم عنها بين رجل وامرأة أنت تخدع نفسك إنه حب نديم عشق تكتوى بناره ألا ترى نفسك، على فكرة لقد رأيت صورتها على الـ Laptop عندما نسيته مفتوحًا وأعترف

لك أنها أجمل منى.

ـ أرجوك علا لا تقولى هذا.

أرجوك أنت لا تقاطعنى ولا تحاول أن تجمل موقفك، إننى أعرف أنك تخوننى منذ زمن، فكم من ليالٍ عدت متعبًا مرهقًا تفوح منك رائحتهن وتلوث ملابسك بقايا شعرهن، واكتسبت شفتاك طعم شفاههن، كنت أتجاهل وأرخى جفنى وأكذب شفتىّ، وأهون على نفسى قائلة إننا فى مجتمع مفتوح، تيار الإغواء فيه جارف فكنت أدخل ما يحدث منك من باب النزوة، لكنك لا تكتفى ولا تشبع فنزواتك لا تنتهى فمن الواضح أنها فى جيناتك فأنت لا تستطيع أن تكتفى بواحدة فمثلك لا يجب عليه أن يرتبط ويكون أسرة، لأنه لن يكون حريصًا عليها بل لا يتوانى بأن يخاطر ويقامر ببقائها من أجل متعته وأنانيته المفرطة، لكن هذه المرة نديم لم تكن نزوة لقد وقعت فى غرامها.

يقاطعنى

ـ ماذا تقولين؟ أنت لا تفهمين.

أوقفته بصوتى العالى الغاضب:

ـ قلت لك لا تقاطعنى، نعم أنت أحببتها فمنذ شهور وأنا أراقب تصرفاتك، اهتمامك بمظهرك ولياقتك، شرودك معظم الوقت، الساعات الطويلة التى تقضيها على الـ Laptop بحجة العمل ما أصاب مشاعرنا من صمت طويل بارد، حتى مشاركتنا الفراش أصبحت شيئًا روتينيًا خاليًا من العواطف. وتأتينى اليوم لتخبرنى بأنك واقع فى مصيبة يمكنها أن تعصف بما بنيناه وأن الحل فى يدى، فعلى أن أتحمل خيانتك لى وأن أخبرمن يسألنى بأننى صديقة عشيقتك وأنك قابلتها مصادفة لكى أحميك وأحميها

من بطش الزوج المخدوع، يا لقبحك وفجرك.

يصيح فى مقاطعًا:

ـ أرجوك، كفى أنا معترف أننى أخطأت فى حقك كثيرًا، لكنى لست إبليسًا مبعدًا من نعيم الله ولا ملاكًا مقربًا لكننى انسان ربما أكون عاصيًا لكنى مؤمن برحمة ربى ومغفرته لى لأن توبتى خالصة له، لكن أين مغفرتك أنت ؟؟ هلى أصبحت بلا قلب أو رحمة، أين علا الحنون المسامحة الرحيمة.

يركع على ركبتيه قبالتى وينظر فى عينى بصوت ناشج:

ـ أين زوجتى الطيبة؟ أين حبيبتى؟ أين سكنى؟ أين ذهبت؟

لا أنكر أنه هزنى، زعزع غضبى وسخطى منه، تذكرت لحظتها نصائح مسز ويتنى للمحافظة على الأسرة تأملته وعرفت كم هو ضعيف هش، يحتاج دائمًا لحائطى ليستند إليه، لكهفى ليأوى إليه من المخاطر، لكن أين أنا من هذا كله؟

قلت له بصوت قوى:

ـ سأساعدك نديم ولكن ليس لأنقذك أنت وعشيقتك، بل لأنقذ سمعة هذه الأسرة التى طالما شقيت فى بنائها، لكنك لا تنتظر زوجتك التى كانت، فلقد نسجت بأفعالك شبكة فاصلة بيننا من خيوط قوية متينة لا تبلى أو تشيط إلا برجوع نديم الذى كان.

قمت متجهة إلى حجرة نوم الأولاد معلنة الانفصال إلى حين عودة نديم الشاعر من توهته.

*****

(١٠)

فـى أحـد المبانى التابعة لمباحث FBI بجـوار مبنى البنتاجون بولاية فيرجينيا يعمل نجاد مشتهرى كمهندس برمجيات، يجلس فى مكتبه منهمـكًا أمام حاسـوبه بوجه بادى الجهامة، يتوقف عـن العبث بلوحة المفاتيح يفتح أحد أدراج مكتبه، يخرج قارورة فضية صغيرة للخمر، تجرع منها عدة جرعات ثم أدخلها مكانها بسرعة.

سمع طرقًا على باب مكتبه، انفرج عن سكرتيرته .

ـ ماذا هناك؟

ـ أحدهم ترك لك هذا المظروف.

تناوله المظروف وتخرج، يقلبه فى يده، مزق طرفه وأفرغ محتوياته، دقق النظر فى الأوراق التى كانت بداخله عدة لحظات، ألقى بها بقوة علـى المكتـب وتحولت جهامة وجهه إلى غضب عـارم، اندفع من فمه سيل من السباب.

" العاهرة بنت الحرام تريد الطلاق لتنعم مع عشيقها، أنا من طوعتها وشكلتها من جعلت منها إمرأة ناضجة تريد الآن هجرى وتذهب لآخر، مـن أجـل لذتها ومتعتهـا، أنا مـن ألقمتها الجنـس حتـى الثمالة، كم غرزت أظفارها فى ظهرى كشفرة موسى من تلذذها وتربعها على قمة الأورجازم، لكنها لا ترتوى ولا تكفى منذ أن هيأت لذلك المسـخ أن يغتصبهـا وهـى أصبحت شـرهة نهمة لا تشـبع وكأنه أعطى لها شـيئًا تفتقـده وتبحـث عنه عنـد كل رجل تقابلـه، ويقولون أن المرأة تشـبه

الأفعى إنها مقولة كاذبة لأن هناك أنواع من الأفاعى غير سامة."

" تلك العاهرة تحتمى وراء أكاذيبها وتدعى أن عشيقها زوج صديقتها قابلها مصادفة ودعاها لفنجان من القهوة لكن قريبًا ستتجلى الحقيقة وأصل لهذا الرجل الغامض وأتأكد من علاقته بها"

اندفع إلى مكتبه، وفتح أحد أدراجه، تناول مسدسه، قبض عليه بقوة، وأرتسم على ملامحه فيضان من الغيظ متمتمًا:

ستندمين يا قحبة.

*****

مللت الجلوس فى المنزل منزويًا فى إحدى الحجرات، أتوجس من كل قرعة على الباب، وكل رنة هاتف أتخيل صوت أحدهم يسأل عنا.

تعبت تفكير وتخمين من أين سيأتى لى الإيذاء، هل لديه السلطة ليحيك لى قضية مخدرات أو قتل ؟ أو ربما يكتفى بطردى من عملى، هل يذهب به عقله المريض بأن يؤذى أحد أطفالى أو علا ؟ . آه يا ربى ماذا جلبت على نفسى؟ لقد قاربت على الجنون.

تحت ضغط اتصالات خوسيه وخوفى بأن أعطى لأحد الفرصة لإيذائى فى عملى تشجعت ونزلت إلى العمل مل رجال أمن البناية من كثرة سؤالى لهم "هل سأل أحدهم عنى؟" مع مرور الوقت بزغ داخلى شعاع خافت من الإطمئنان أخذ يقوى مع الأيام، أطمئن نفسى قائلاً بأن تهديدات زوجها ربما تكون وليدة للحظة الغضب والانفعال وقد نسيها . قرع باب مكتبى، انفرج عن جانيت توقعت شرًا آتيًا فى وقت لا يلائم نفسيتى السيئة وما أمر به من أوقات عصيبة، دعوتها للجلوس على مضض، جلست ونظرت لى بوجه باسم أزال قلقى، قالت بصوت ناعم:

ـ نديم أرجوك تقبل اعتذارى.

شعرت بأننى أحلم، جانيت تريد منى أن أتقبل اعتذارًا منها، وترجونى، أحسست بأن معاناتى كلها قد خفت عن كاهلى.

ـ تعتذرين لى عن أى شىء؟

ـ عن آرائى التعسفية ضد العرب والمسلمين، واتهامهم فى أحداث الحادى عشر من سبتمبر.

ـ ولماذا هذا التغير المفاجىء؟

ـ إنه ليس مفاجئًا لقد أخبرتك من قبل أننى أبحث وأنقب لأصل إلى الحقيقة وطوال السنين السابقة قمت بقراءة معظم ما كتب وألف عن هذه الأحداث وسمعت الكثير من التحاليل. وجدت نفسى قاربت على فقدان عقلى . صدمت بتساؤلات لم أجد لها إجابة عند أحد . فمثلاً كيف يمكن لقراصنة من تجاوز الأنظمة الأمنية جميعًا ؟ لماذا لم يكن على متن واحدة من الطائرات الأربع ولا مسلم واحد برىء؟ كيف أمكن اكتشاف المتهمين الرئيسيين خلال يومين فقط ؟ ولماذا لم تنشر معلومات الصندوق الأسود الذى عثر عليه؟ وأين باقى الصناديق السوداء للطائرات المحطمة؟ وغيرها الكثير من الألغاز التى جعلتنى لا أنام الليل. فى النهاية اكتشفت أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر أحجية تضاف إلى الأحاجى الغامضة فى تاريخ بلدى كمقتل جون كنيدى وروبرت كينيدى ومارتن لوثر كينج وغيرها لذلك قررت أن أقف وأعلن أن هذه المأساة ليست لها خاتمة، لذلك من الظلم أن أضع فى قفص الاتهام أناسًا ربما يكونون أستخدموا كدمى فى خيوط لعبة كبرى. لذا وجب على أن آتى اليوم وأعتذر لك وأن ننهى ما بيننا من خلافات فالحياة قصيرة، أقصر كثيرًا

من صراعات البشر.

ـ عندك كل الحق يا جانيت، أنا أيضًا مدين لك باعتذار عما بدر منى تجاهك من مضايقات فى الفترة السابقة وأعترف لك أن معظم ما قلته لك غير مقتنع به كنت أردده لمجرد استفزازك فقط.

فتح باب المكتب فجأة وظهر أحد المحررين صائحًا بفرح:

ـ مبروك نديم لقد نجحت الثورة فى مصر وتنحى الرئيس.

ـ لم أدرى ماذا أفعل؟ شعرت بنشوة عارمة تحتلنى، أمطرت عيناى بدموع الفرح، صحت بعلو الصوت تحيا مصر، تحيا مصر، احتضنت المحرر وجانيت. صاحت جانيت:

ـ هيا إلى مكتب خوسيه لنتابع الأحداث على شاشة التلفاز.

اعتذرت منهما للذهاب إلى الحمام أولاً، أغلقت الباب ورائى، وقفت أمام المرآة، أرى رجلاً خائنًا بلا ضمير لا يعرف الشرف أو الصدق، رجلاً مدعى ثقافة لا يعايشها أو يؤمن بها، ألمح قسمات شخص ماجن شهوانى اختزل العالم فى جسد إمرآة ترتدى البيبى دول، بينما الشباب الذى طالما اتهمه جيلى بالاستهتار والتفاهة يفاجئنا ويقف عملاقًا مناضلاً من أجل حرية مصر ومن أجل تحسين صورتنا فى أرض الغربة.

من يصدق أن ثورة بيضاء كلون اللبن، تقلع نظامًا فاسدًا تعمقت جذوره لأكثر من ثلاثين عامًا أذاق فيها الشعب المصرى ألوان الهوان. كم عظيم هذا الشعب علم العالم قديمًا معنى الحرية وإرساء المؤسسات وإقامة الدول منذ أكثر من سبعة آلاف عام، وها هو يلقن العالم فى القرن الحادى والعشرين درسًا فى قيام الثورات البيضاء.

ضربت وجهى عدة مرات بزخات الماء البارد، نظرت لنفسى فى المرآة ثانية، وأحسست براحة تغمرنى ربما لمواجهة نفسى لأول مرة بصدق.

ذهبت إلى مكتب خوسيه كان الكل مجتمعًا لديه، التفوا حولى مهنئين بسعادة غامرة وكأنهم مصريون، قناة CNN تعيد مشهد البيان الذى ألقاه نائب الرئيس المصرى الذى أعلن فيه تخلى الرئيس عن منصبه وتسليم مقاليد البلاد إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

اقترب منى خوسيه شد على يدى مهنئًا، لمحت فى تهنئته شيئًا من التحفظ، فهو دائمًا يتخوف من الفوضى غير الخلاقة التى تعقب الثورات وهو مؤمن بأراء بعض الفلاسفة التى تقول أن الثورات مستمرة فى حياة المجتمعات الإنسانية طالما أن أمير البلاد لا يسوسها بعدل ولكن الثورات فى طياتها تحمل أمراضًا تحل بالمجتمعات الإنسانية كتصفية الحسابات والرغبة فى الانتقام والحقد والكراهية . ففى الثورات يريد الإنسان أن يحرر نفسه من العبودية والظلم وحكم الفرد والأوثان والمقدسات الكاذبة ولكن سرعان ما يخلقون أوثانًا ومقدسات زائفة جديدة.

ربما ما مر به خوسيه من تجربة شخصية مريرة مع القلاقل والانقلابات فى بلده الأم جعله متحفظًا مع أى تغيير سياسى يتم . بادرته قائلاً:

ـ ما رأيك خوسيه فيما حدث؟

ـ مذهل نديم، أول مرة فى حياتى أرى ثورة بيضاء تنجح فى إقالة نظام، ولكن من الملاحظ أن هذه الثورة ليس لها قادة، إننى أرى مجموعة من الشباب عديمى الخبرة السياسية، والخوف أن تسرق الثورة لصالح التيارات السياسية الخاملة وتتحقق مقولة تشى جيفارا "الثورة يفجرها مغامر ويخوضها ثائر ويجنى ثمارها جبان" وما أكثر الجبناء متحينى الفرص فى هذا العالم.

ـ أنت دائمًا متخوف ومتشائم من الثورات .

ـ لا أنت لا تفهمنى، أنا مع الثورات ولكننى دائمًا أضعها آخر الحلول عندما تفشل ايديولوجيات الإصلاح الدؤوبة.

أقاطعه بحدة قائلاً:

ـ عزيزى خوسيه الايديولوجيات جامدة ومحافظة ودائمًا تقدم التبريرات اللازمة لحماية مصالح الفئات الحاكمة فمثلاً شعارات الحزب الحاكم للنظام السابق فى مصر وخطابات زعيمه خير دليل على ذلك مثل "من أجلك أنت، من أجل مستقبل أولادك، الانحياز للطبقات الفقيرة، حقوق المرأة رعاية الطفولة، الاهتمام بالصحة والتعليم، القراءة للجميع".

وهى كلها شعارات كذبها الواقع وما كان منهم إلا استبداد ولصوصية واحتكار للحياة السياسية والاقتصادية، واضعاف وإطاحة بالقوى السياسية الأخرى وتقييد الحريات وتجاهل التقدم العلمى والاقتصادى، واللامبالاة بالمساواة والقانون وتخصيص الجزء الأكبر من ميزانية الدولة للأمن لحماية النظام وتكريس حكم الفرد والتوريث. وهنا تكتشف زيف الايديولوجيات ليفيض الكيل بالشباب فيخترع عالمه الافتراضى على الـFacebook وهو عالم تبدى للشباب أكثر صدقًا وحقيقة من الواقع.

كان يستمع لى بانصات مدخنًا غليونه ثم نفث سحابة كبيرة من الدخان الأبيض أحاطته، جاء صوته الهادىء من ورائها:

ـ ما أستطيع قوله الآن نديم أنه يجب على الثورة أن تبث روحها لعدة سنوات بنفس الصفاء وحسن النوايا من أجل تخليص المجتمع من الصور السلبية والآفات التى أصابته وتجذرت فيه لسنين طوال

للوصـول إلى مرحلة بنائـه من جديد مما يرضـى طموحها بإقامة العدل.

ابتسم فجأة وجه خوسيه وتهلل وأخذ ينظر وراء كتفى الذى شعرت بيد توضع عليه، تلفت كان جان أمامى احتضننى مهنئًا:

ـ لم استطع أن أنتظر حتى المساء لأراك.

يتدخل خوسيه:

ـ هذا من حظى لكى أراك يا هراب.

ـ أنا آسف خوسيه لعدم حضور لقائنا الأسبوعى.

ـ على العموم نحن فى انتظارك هذا الأسبوع.

ودعنا خوسيه وهممنا بالمغادرة، جاءنى صوت خوسيه:

ـ نديم لا تنسَ الانتهاء من موضوع جبران.

ـ سيكون على مكتبك هذا الأسبوع.

غادرنـا مقـر المجلة، أصـر جان على دعوتـى على الغـداء فى أحد المطاعـم القريبـة، كان مسـرورًا السـعادة تطفح علـى وجهه الأبيض المشرب بالحمرة، أخذ يثنى على شباب الثورة وجسارتهم على مواجهة بطـش رجال الأمن، ويشـيد بموقف الجيش المصـرى بوقوفه فى صف الشعب وتأكيده بأنه جيش مهنى لا طائفى أو تابع للرئيس.

أوقفتـه عـن حديثـه وقلت لـه بـأن سـعادته طاغية وهـى أكبر من فرحة بنجاح الثورة المصرية ابتسـم واعتـرف بأننى دائمًا أقرأه بوضوح وأخبرنى بأنه قرر السـفر إلـى لبنان بمفرده ليطـوف ربوعها ووديانها، غرغرت عيونه بالدموع وهو يقول:

ـ لسـنوات طويلـة كان علـى عينـىّ غلالـة سـميكة تمنـع رؤيتى

لهـا أو إحساسـى بها لإيمانى بأنهـا من حرمتنى مـن عائلتى لهذا كنت لا أطيق سـماع أسـمها يتـردد حتى فى نشـرات الأخبار أو رؤيته فى الصحف، لكنى الآن مزقت تلك الغلالة، الآن أشـتاق لأحتضن أرضها ومبانيها ووديانها وشوارعها، كم أفادنى العلاج النفسـى، آه علـى فكرة نديـم موعدك مع الطبيب النفسـى يوم الأربعاء القادم لا تنسَ.

ـ لن أنسى جان بالتأكيد سوف أذهب.

*****

أزحت عن النافذة سـتائرها وأخذت أتأمل نديف الجليد الذى يخفى كل شـىء تحـت ردائـه الأبيـض الناصع تمنيت أن يكسـو قلبـى بلونه الصافـى ليعيـد له نقاءه ويقشـع عنـه همومه، اليوم لم يكـن لدى همة للعمـل فى البيت أو إعـداد الأطعمة المطلوبة منى فأعتـذرت لطالبيها، كانـت الهواجس تتراقص داخل أروقة رأسـى كأنها فرقة هيفى ميتال صاخبـة تتصـارع أنغامها المزعجـة لتؤرقنى، تعبت مـن التفكير فيما يمكـن أن يفعلـه زوج هذه المرأة فينا؟ هل لديـه النفوذ لأن يفصل نديم عن عمله؟ أم لديه سـطوة أن يؤذيه ويهـدم عائلتى؟ هل كان خوف نديم على نفسه وعلينا أم على عشيقته؟ عندما طلب منى أن أخبر من يسألنى عنهـا بأنها صديقتى الحميمة لحظتها قرأت فى عينيه إنتظاره بأن أقول له، ما هو اسـم زوجها وأين عنوانه لأذهب إليه وأنهى الأزمة فأنا أعرف نديـم ككتـاب مفتوح، لكنى خذلته ولم أقل. وهـا هو منذ انفصالنا ونومـى فى حجـرة الأولاد، كلامنا فـى حدود تصريف شـئون الحياة، لكنى أرى فى عينيه حثى على التصرف لحل المشكلة.

يخرجنـى من هواجسـى رنيـن الهاتف، كانـت جومانة، جاء

صوتها فرحًا :

ـ مبروك يا ناقة نجاح الثورة.

ـ الله يبارك فيك، وأنت مبروك شفاء جان ورجوعكم لسابق عهدكم .

ـ لن تصدقى يا علا ، لقد قرر جان السفر بمفرده إلى لبنان تخيلى.

ـ خبر رائع.

ـ الخبر الرائع بجد هو أننى تسلمت رخصة مركز رعاية الأطفال.

ـ بجد ، مبروك علينا يا جومانة.

ـ المهم أن تتفرغى لى تمامًا هذه الأيام لأنى أريدك معى لإعداد الديكورات وشراء الأثاثات واختيار العمالة التى ستساعدنا حتى نبدأ فى أقرب وقت.

ـ أنا طوع بنانك من هذه اللحظة ، إن هذا المشروع بمثابة طوق النجاة لى ولأولادى من أية مخاطر

ـ لماذا أنت خائفة هكذا من المستقبل كونى متفائلة ، على أية حال سوف أمر عليكِ غدًا صباحًا ، مع السلامة.

قفلت الخط ، وقمت متجهة إلى غرفة المعيشة ، كان نديم يجلس وحيدًا متأملاً فى لوحة الأشجار المعلقة أمامه فى شرود ، لأول مرة أراه بدون الـ Laptop ، فلم تعد هناك رسائل تصل منها ، لذا فهو شارد الذهن تائهه يتعذب لفراقها ، يكتوى بنار بعادها ، فقد عدة باوندات من وزنه فى أيام ، ولا يفعل ذلك سوى السهاد.

أدخل حجرتى أنظر فى مرآتى . أراك نديم قد سلبت منى نفسى ،

obeikandl.com

ولم تترك سوى الفراغ، أحاول أن أملأ مساحات الفراغ بأفكار وأحلام عدة لكنها لا تصلح وتبقى فجوة لا يملؤها سواك لكنى أعدك بأنى سوف أرقع نفسى بنسيانك ومحوك من أروقة قلبى.

*****

كانت قدماى تسرعان الخطى، فمنذ أن أخبرنى جان بموعد الطبيب النفسى، ونفسى تتوق لهذه المقابلة عيادته تقع بالقرب من عملى، دلفت من بوابة البناية، اتجهت إلى موظف الأمن مستفسرًا عن عيادة الدكتور صامويل دينزل، استقليت المصعد للدور الخامس، كانت العيادة تتسم بالرقى، تنساب من أرجائها موسيقى هادئة تريح الأعصاب، استقبلتنى منسقة المواعيد، أدخلتنى للطبيب. كان فى غاية الأناقة، طويل القامة قمحى البشرة ذو قسمات أفريقية تفصح عن أصوله، يدخن السيجار ويضع عدسات طبية، دعانى للجلوس أمامه، أخذ يسألنى بعض الأسئلة الروتينية عن اسمى وعمرى وعملى وهل أعانى من أى أمراض عضوية ؟ ثم وقف ودعانى للاستلقاء على أريكة فى جانب الحجرة، وجلس هو على فوتيه بجوارها، مد يده مخفضًا ضوء الأباجورة التى بجواره، طلب منى أن أخبره بما يقلقنى، حكيت له قصتى مع الإغواء مرورًا بغزواتى النسائية منتهيًا بعلاقتى بميتاب.

وقف واتجه إلى مكتبه ثانية ودعانى للجلوس أمامه، ابتسم لى وهو يشعل سيجاره بأخذ عدة أنفاس متعاقبة منه، نظر لى وهو يخبرنى بأننى أضفت إلى قائمته الخاصة للإغواء بندًا جديدًا وهو قيادة سيارة ليموزين تعرف سيد نديم المرأة أشبه بالماء والتراب أما الرجل فهو أشبه ما يكون بالهواء أو النار وكما تعلم أن التربة تعنى الاستقرار أما النار والهواء فهما يمثلان الحركة والاندفاع والتغير الدائم، لذا فالحب فى نظر المرأة يعنى الاستقرار والألفة أما الرجل فنظرة الحب

عنده تعنى اللذة الخاطفة والاستمتاع العابر لهذا فهو يعشق سريعًا ويمل ويهجر أسرع.

قاطعته قائلاً:

ـ أفهم من ذلك أن الرجل يمكنه أن يحب أكثر من واحدة فى آن واحد.

يبتسم قائلاً:

ـ نعم، يمكن للرجل ذلك، ولكن ليس بنفس الاهتمام ودرجة الحب فالأولى كان يحبها ومع الأيام يتحول الحب إلى مودة نتيجة العشرة خاصة إذا كان بينهما ارتباط وأولاد وتأتى الثانية لتلهب عواطفه التى فترت بسبب الاعتياد والملل والسؤال هنا كيف تستوعب المرأة قلب هذا الرجل الذى يمكنه استيعاب أكثر من واحدة.

قلت له:

ـ هذا يفسر لى تغير أحوال زوجتى معى بعد اعترافى لها بمعرفتى بأخرى.

ينفث سحابة دخان من سيجاره قائلاً بصوته الأجش:

ـ بالتأكيد سيد نديم المرأة لا يمكن أن تبقى على حب فقدت اعجابها به، فهى من اختارت هذا المخلوق الذى وهبت له كل وجودها لذا تكون خيبة أملها عظيمة فى حالة خيانته، ويحتاج إصلاح هذه العلاقة الكثير من الجهد المضنى لبناء جسور للثقة بينهم.

ـ نعم الكثير من المجهود، لكن يا دكتور أين الصداقة بين الرجل والمرأة، أهى خرافة؟

يعتدل فى جلسته قائلاً:

ـ الصداقة مستر نديم كما يقولون هى نسيبة الروح كما أن الأخوة نسيبة البدن، وصداقة الرجل والمرأة موجودة وليست خرافة، لكن نجاحها يتطلب وضع حدود قائمة على الاحترام مع افتراض عدم تطور هذه العلاقة، فيجب أن تعتمد على المصارحة والنقد بين الطرفين، ولا بأس بمعرفة الأهل بهذه العلاقة وقد يكون كلا الطرفين متزوجًا فهى علاقة بريئة ويكون الحديث فيها عن الأمور الحياتية والمشاكل الشخصية، ولكن للأسف هذا النوع من الصداقة نادر النجاح لأنه دائمًا ما يتطور من كونه علاقة زمالة فى العمل أو فى الجامعة أو فى المواصلات كما فى حالتك، إلى حب يتطور من صداقة الخل الوفى إلى صداقة فراش.

أعارض بحدة:

ـ لكن فى حالتى لم تتعدَ العلاقة أكثر من حب أفلاطونى.

يقف عن مكتبه ويدور ليقترب منى، يضع يده على كتفى قائلاً:

ـ عليك سيد نديم أن تسأل نفسك بصدق. ماذا تريد من هذه العلاقة؟ هل تفكر فى تبعاتها على زوجتك وأولادك وعلى مستقبلك؟ هلى هى نزوة جسد أم حب حقيقى؟، أنت ينقصك سيد نديم الخيال لتفكر ماذا بعد أن تنال هذه المرأة وانتهاء فورة الشهوة والرغبة؟ حتى ولو كان حبك صادقًا لها، فهل أنت على استعداد بأن تهدم كيانًا عملاقًا كعائلتك من أجل هذا الحب؟

أنا جئت إليك اليوم لأعرف الإجابة.

يعود مرة أخرى لمكتبه يجلس، يشعل سيجارة ثم يقول:

ـ الإجابة سيد نديم عندك أنت وحدك، أنا واجبى فقط أن أنير لك

فى جلساتنا القادمة، بعض النقاط تعينك على الوصول إليها.

نظر لى مسترسلاً:

ـ أيناسبك يوم الإثنين القادم فى نفس الموعد .

هززت رأسى موافقًا ومددت له يدى مصافحًا بطريقة ألية لإنشغال ذهنى بما سمعته منه.

*****

أصرت إبنة خالتى على إصطحاب الأولاد إلى الملاهى القريبة من منزلها، لم أستطع مرافقتهم لإرهاقى طوال اليوم فى مكتب المحامى للتفاوض على الطلاق مع نجاد، جلبت الـ Laptop وصنعت لنفسى فنجانًا من الشاى وخرجت إلى شرفة المنزل التى جذبتنى بإطلالتها على غابة من أشجار السنط غاية فى الروعة فعلى الرغم من أننا فى فصل الشتاء إلا أنه مازال يعلق بها العديد من أوراقها التى جاهدت من أجل البقاء على فروعها كما أن اليوم صافٍ من الغيوم ودرجة البرودة محتملة كل هذا شجعنى للجلوس لمشاهدة منظر الغروب الذى أعشقه، عندما تلملم الشمس ضياءها وأشعتها وتنزوى عازمة الرحيل غارقة وراء غابة الأشجار العتيقة لتتخلل أشعتها الضعيفة أجسادها وأذرعها خالقة ألوانًا مبهرة، مبهجة للنفس تنسى الإنسان همومه وأحزانه.

أخذت رشفة شاى من فنجانى، وفتحت الـ Laptop شارعة فى بدء رسالة الوداع لنديم، بدأت أصابعى تترجم ما يجيش بوجدانى على الشاشة عنونت الرسالة بالرحيل.

"العزيز إلى القلب نديم هذه الرسالة الأخيرة بيننا وهى حق لك يمليه على ما بيننا من مشاعر حب ومودة لقد نجحت اليوم فى الحصول على الطلاق من نجاد بعد مفاوضات شاقة وعسيرة معه إلا أنه أخيرًا وقع

الأوراق بعدما تنازلت له عن كافة حقوقى المادية تجاهه وعن قضية اعتدائه على بالضرب لكن فى مقابل ذلك حصلت على حريتى وحق رعاية الأطفال وهذا مكسب كافٍ لى . و هذا من شأنه أيضًا أن ينسى هذا المأفون تهديداته بالبحث عنك وإيذائك. كما إننى تقدمت بطلب إلى عملى للنقل إلى فرعنا فى بوسطن، نعم نديم سأعود إلى موطن نشأتى وولعى بشبه الجزيرة التى يحيطها مياه الأطلنطى ونهر تشارلز لطالما حلمت بالعودة إلى أثينا الولايات المتحدة، مدينة المتطهرين، سأعود لأتنزه فى قوارب البجع فى خليج العودة لمشاهدة الغروب، وأتمشى مع أبى وأمى فى طريق الحرية، وأتسكع مع أختى فى شارع سالم بطرقاته الضيقة، نجلس على مقاهيه ومطاعمه مستمتعين بأطعمته الإيطالية، إنه قرار صائب تمامًا أن أعود لأكون فى كنف عائلتى.

بقى شىء فى نفسى يجب أن أخبرك به، كثيرًا ما اتهمتك بأنك أوقعتنى فى فخ حبك كأرنب صغير فى شباك صياد قدير، لكنى أعترف لك بأننى قد رأيت منذ البداية شباكك وفخوخك واندفعت إليها بكل شوق عن طيب خاطر.

اتهمتك بأنك غير صادق فى نصحى للمحافظة على أسرتى لكنى أعترف لك أنك كنت نعم العون لى بنصائحك وإرشاداتك الصادقة ولكن رعونة زوجى وعدم معاونته لى فى رأب الصدع بيننا، عجل بالنهاية.

اتهمتك بأننى كنت أتغاضى عن أقوالك الفاحشة وملامساتك الخاطفة، أعترف لك بأننى كنت أنتظرها وأترقبها بل كثيرًا ما كنت أهيىء نفسى لها وأنت تسير بجوارى أنتظر ملامستك لمؤخرتى بل كنت أتمنى أن تجذبنى داخل أقرب بناية لتضمنى وتقبلنى لدرجة أننى كنت أبحث بعينىّ عن أقرب بناية مناسبة وأهيىء نفسى للحظة،

نعم نديم أعترف لك أننى أحببتك من كل قلبى، دائمًا أنت فى الصباح اسمك يتراقص على شفتى، سمتك أمام عينى، وفى الليل تطن برأسى دومًا كصداع لا ينتهى، استوليت على قلبى لكنك ستكون أغلى ما يمكن أن أضحى به فى حياتى، يجب أن ندوس على مشاعرنا من أجل مستقبل أسرتينا، إن ما يصبرنى نديم حينما تفصل المسافات بين الأعزاء يتحول ما بداخلهم إلى كتلة من الحنين والشوق ترسم صورًا أكثر اشراقًا وسحرًا لتصير ذكرى خالدة تعيش معنا حتى مماتنا، أرجوك اذكرنى دائمًا فى صلواتك فى أمان الله".

*****

" أذكرونى عندما ترى الشمس جانحة نحو الغروب وقد وشحت الطلول والأودية بنقاب أحمر كأنها تذرف لفراق لبنان الدماء بدلاً من الدموع.

اذكرونى عندما ترى رعاة المواشى جالسين فى ظلال الأشجاء يملأون البرية الهادئة أنغامًا كما فعل أبولون عندما نفته الآلهة إلى هذا العالم.

أذكرونى عندما ترى الصبايا حاملات على أكتافهن آنية الماء وهن ينشدن الأغانى المنسوجة فى خيوط أشعة القمر الممزوجة برائحة الوادى."

كأنه كان يعرف أن ميعاد قطفه قد حان ففى الحادية عشرة إلا خمس دقائق من ليلة الجمعة الثالث عشر من إبريل عام ١٩٣١ فى الغرفة ٣٠١ من المستشفى سانت فنسنت بنيويورك لم ينطفىء سوى لهاث الجسد أما روحه وقلمه وريشته باقون بقاء الحضارة الإنسانية.

نقل الجثمان إلى بوسطن ودفن فى مقبرة بنيديكت حيث يرقد أمه

وأخوته، وفى الثالث والعشرين من يوليو من نفس العام غادر الجثمان العالم الجديد من مرفأ بروفيدنس برود أيلند على متن الباخرة سنيايا إلى أرض الفينيقيين حيث مثواه الأخير بقريته بشرى، وصدقت مقولته حين قال "رب مأتم بين الناس هو عرس بين الملائكة" فجبران عاش فى جسد انسان وروح ملاك، قالت له أمه يومًا:

ـ لو لم تولد لبقيت ملاكًا فى السماء.

فأجاب:

ـ أنا لم أزل ملاكًا.

ـ وأين أجنحتك.

فوضع جبران يد أمه على كتفه قائلاً:

ـ ها هى متكسرة .

وكما رفض كاهن المارونية فى بوسطن الصلاة على جثمانه بحجة أنه قبل مماته رفض الاعتراف بأنه كان كاثوليكيًا، ففى لبنان رفض المطارنة استقبال جثمانه وكانت حجتهم هذه المرة أنه كافر مهرطق، لأنه ببساطة رفض الإيمان كالعوام بنقل الموروث المدجن فى قوالب وأختار العقل ليصل للإيمان الكامل بالخالق عبر مراحل استيعابية . تحت ضغط سلطات الاحتلال الفرنسية قبل المطارنة الصلاة عليه.

صدق جبران فى قوله " إن حياة الإنسان لا تبتدىء فى الرحم كما أنها لا تنتهى فى القبر " فهو كان ناقوسًا مدويًا أفرج طنينه عن ملايين القراء من سجن العقل ليتأملوا الحياة ويعرفوا أنفسهم بوعى وفكر حر.

توقفت أصابعى عن العبث بلوحة المفاتيح، وأخذت أراجع ما كتبته على شاشة الـ **Laptop**، تنهدت ارتياحًا لانتهائى من موضوع

جبـران، تناولت كوب النسـكافيه ورشـفت آخر ما تبقـى فيه، جلت النظـر حولـى، كان الكافيـه يـزداد ازدحامًا، لمحت بطـرف عينى واحدة تشـبه ميتاب نفس القوام والشعر الحريرى المنسدل بلا عوائق، تذكـرت القرار الذى علـى أن أتخذه بالتخلى عن واحـدة منهما هى أم علا، أه وأين هما؟

علاً لقد تغيرت كثيرًا منذ انفصالها عنى ونومها فى حجرة الأولاد، لم تعد كالسـابق تشـجعنى على التصالح معها، كلامها معى روتينى بلا مشاعر. سابقًا كانت من الممكن أن تسعى للاتصال بزوج ميتاب وتفهمه الموقف. لكن هذه المرة أشـعر بأنها تريد لهذه المشـكلة أن تتعقد كنوع من العقاب لى.

بنكنا أبلغنى بأنها ألغت حسابنا المشترك، وعندما سألتها أخبرتنى بأنها فتحت حسابًا مشتركًا مع جومانة للصرف على مشروعهما وهى لا تريد أن تشـتت حسـاباتها فى أكثر من بنك. كأنها تريد أن تنسلخ منـى عاطفيًا وماديًا. على الرغم من هذا فمنذ انفصالها وابتعادها عنى جسديًا وروحيًا ونفسى تهفو إليها، أنتظر منها كلمة تشجيع، بل إيماءة لكى أهرع إليها مصالحًا.

أمـا ميتـاب فقد اختفت تمامًا، وتركت لـى التفكير فى مصيرها ومـاذا فعـل بهـا زوجهـا؟ لكن الغريـب أننى لا أشـعر برغبـة ملحة فى الاتصـال بها، أريد فقط أن أطمئن عليها لشـعورى بالذنب لتورطها فى هـذه المشـكلة مع زوجهـا، لكننى أحس بـأن المسـاحة الهائلة التى كانـت تحتلها فـى وجدانى قد تناقصت. فهـل كان ينقصنى فعلاً أن أفكر فى مستقبل علاقتى بها، هل هو حب حقيقى؟ أم رغبة محمومة فى جسدها.

أشعر بقوام يقف أمام مائدتى، أرفع بصرى، أفاجأ بجيسيكا هوفمان يكسو وجهها ابتسامة باهتة اختلطت فيها السخرية بالتهكم، قالت بصوت يفيض استخفافًا .

ها قد قام شعبك بثورة ضد الفساد، فهل حفزك هذا لتثور على عقلك المريض، فخسارة الثقافة الموسوعية تضيع فى ردهات الملذات وتوهة العهر.

حاولت تحاشى نظراتها المتعالية بالنظر فى لوحة مارلين مونرو التى أمامى، كنت أريد أن أخبرها بأن الخائن المتسكع فى طرقات دمائى قد أبطأ الخطى بل توقف، كنت أريد لها أن تعرف أن الأيام قد قصت أجنحة عنقاء الخيانة، قلمت التجربة مخالبها، كنت أريد أن أعترف لها أننى بدأت علاجى النفسى من الشره الجنسى لكن قسمات وجهها المتهكمة وابتسامتها الصفراء ونظراتها الساخرة، جعلتنى أبحث عن رد مناسب يثير غضبها، رجعت من مناجاتى على قولها:

ـ أرجو أن تكون نظرتك للمرأة قد اتسعت ولم تعد مجرد جسد تخمد فيه شهوتك الحقيرة.

ابتسمت بتهكم مسترسلة:

ـ ومع ذلك أتمنى لك الشفاء أيها الخاسر من أجل الأيام الخوالى.

تناهى لسمعى صوت يناديها، تلفت نحوه، وجدته صادرًا من شاب وسيم فى حلة سوداء أنيقة . نظرت إليها وقلت ساخرًا:

ـ أراك لا تضيعين وقتك، وجدتى فريسة أخرى أيتها الصائدة الماهرة .

نظرت لى فى حنق قائلة بغضب:

ـ خاسر أحمق .

ابتعدت، شعرت بضيق ينتابنى من المكان، أغلقت الـ Laptop ووضعته فى حقيبته وحملتها على كتفى وخرجت، وقفت أمام الكافيه مستنشقًا الهواء البارد علّه يعيد لى انتعاشى، نظرت إلى السماء، كانت أشعة الشمس تشق غطاء الغيم الداكن شديد الركام فتولد خابية تشيع فى النفس الكآبة، سمعت نغمة الـ Blackberry تعلن قدوم رسالة أخرجته من جيب الجاكت وفتحته، كانت رسالة من متياب معنونة بكلمة "الرحيل" مررت عليها سريعًا بنظرى كانت طويلة، توقفت وابتلعت ريقى وبدأت أقرأها من البداية بترو.

"العزيز إلى القلب نديم هذه هى الرسالة الأخيرة بيننا وهى حق لك يمليه على ما بيننا من مشاعر حب ومودة ... اخترق سمعى فجأة صوت دوى، لدرجة أننى اهتززت من قوته، تلفت حولى مستجليًا الأمر، ما طاف بخلدى لحظتها انه صوت انفجار دولاب أحدى سيارات النقل الضخمة، لاحظت هرولة المارة من حولى مذعورين، شعرت بألم حاد يمزق صدرى، نظرت إلى موضع الألم، اتسعت عيناى دهشة مما رأيت، بقعة حمراء تزداد رقعتها اتساعًا على قميصى، بدأ جسدى يترنح، تأكدت لحظتها أن ما سمعته كان طلقًا ناريًا وكنت أنا الهدف، أفعلها زوجها؟ لم يخطر على خلدى هذه الصورة من الإيذاء، أو ربما طلق طائش من مهووس أو متعصب . تهاويت على أرضية الرصيف، آه ... الألم يتفاقم، أشعر برعشة تنتابنى، فمى أصبح جافًا، ضربات قلبى تزيد، عرق غزير يبلل جسدى، تحولت أنفاسى إلى لهاث . أصبحت لا أعبأ بالجمع المحتشد من حولى، ولا بالعيون المتطفلة التى تقتحم جسدى المضرج فى دمائه، تهادى لسمعى نفير سيارة اسعاف أوربما بوليس، تحولت الأصوات المسموعة الجلية إلى هسهسة ثم تلاشت ليرخى السكون سدوله، سعلت سعلة مهزومة وأنطفأ نور عينى فيما

يشبه النعاس.

*****

يعم المكان سكون تام لا يعكر صفوه سوى اختراقات الصافرات المتقطعة للأجهزة الطبية . تقف علا أمام الحائط الزجاجى، تمسح بنظرها الجسد المسجى بلا حراك النابت منه عشرات الأنابيب والأسلاك الموصولة بأجهزتها الدقيقة، تجفف دموعها بكفيها، يثبت نظرها على وجهه الهادىء الساكن .

أهذه هى النهاية يا نديم، جثة هامدة على سرير طبى، تحيا بواسطة الأجهزة، متمنية من ربها أن يرجعها إلى أرض الواقع، كم حذرتك من شعور الخيانة المتقافز فى رأسك، كغزال لا يخاف غدارات القنص، كم ناشدتك أن تتوارى خلف ظلال الفضيلة، لكنك أبيت النصح وأخذت تتقافز من شجيرة لأخرى حتى أغتالتك اليد الغيورة .

تناهى لسمعى صوت كعب حريمى مكتوم إثر امتصاص أرضية المشفى الجرانيتية لوقعه، كانت الخطوات متخاذلة لعدم انتظام ضربات الكعب، أخذ الصوت يقترب فى وجل، تلفت جانبى كانت إحدى السيدات فى تايير أسود، اقتربت ووقفت على مقربة منى، أخذت تنظر إلى نديم، تناهت نهنهتها لسمعى، على الرغم من العدسات الطبية التى تضعها وشعرها المعقوص خلف رأسها إلا أننى عرفتها من الوهلة الأولى .

إنها ميتاب بشحمها ولحمها . شعرت بشىء من الضيق يعترينى، كم جرئية تلك المرأة، ربما لو أننى لم أقرأ رسالتها الأخيرة على هاتف نديم لكنت الأن جاثمة فوقها مبرحة إياها كل صنوف الضرب والأذى حتى تزهق روحها .

إلا أننى تأكدت من رسالتها مدى جديتها فى إنهاء علاقتها بنديم

برغم اعترافها بحبها له والدليل على جديتها نقل حياتها إلى بوسطن على الرغم من حصولها على الطلاق، كما أحترمتها لتنازلها عن كافة حقوقها المادية فى مقابل إحتفاظها برعاية أطفالها .

كما أفادتنى قراءة رسالتها فى إثنائى عن إخبار البوليس عن تهديدات زوجها لنديم حيث عرفت بفتور همته فى البحث عن نديم بعد حدوث الطلاق، ثم ماذا كنت سأخبر البوليس؟ بأننى أشك فى زوج إحدى عشيقات زوجى، ما أسمه؟ لا أعرف، ما عنوان عمله؟ لا أعرف . كنت سأبدو كالحمقاء بالإضافة إلى تشويه سمعة نديم بأنه زير نساء يجرى وراء شهواته، سمعته التى أشادوا بها فى محطات التلفاز والصحف وجعله الحادث صحفيًا مشهورًا . فاجمعنا على أنها رصاصة طائشة من مجهول.

أفقت على نظرها لى قائلة بصوت متهدج:

ـ أنا أعرفك ولكنك لاتعرفينى، لقد تسببت فى إيذائك، لذا أرجوك .. أرجوك أن تسامحينى .

وقفت برهة، ثم استدارت مبتعدة . توقفت إثر سماعها اسمها يتردد على نبرات صوتى المخدوش من كثرة البكاء:

ـ ميتاب .

استدارت مذهولة:

ـ أنا أسامحك.

قلتها وأنا أنظر لها بشفقة امرأة تقدر ما عانته وتعانيه . تعانقت نظراتنا، ثم استدارت مبتعدة بخطوات واثقة.

تمت

أهم المصادر

مقال بعنوان الصحافة العربية فى أمريكا ١ـ مجلة العربى العدد ٢١٢ يوليو ١٩٧٦

د.نديم السيار ٢ـ قدماء المصريين أول الموحدين

عاطف عزت ٣ـ فرعون كان من قوم موسى

رضا هلال ٤ـ تفكيك أمريكا

ماتياس بروكرز ٥ـ ٩/١١ المؤامرة

٦ـ موقع ويكيبديا على الانترنت

اسكندر نجار ٧ـ قاموس جبران خليل جبران

obeikandl.com

المؤلف فى سطور

السعيد صالح
من مواليد يناير ١٩٦٤
محاسب وروائى
عضو اتحاد كتاب مصر

صدر للمؤلف

المرأة وأشياء أخرى	مجموعة قصصية	١٩٩٧	مدين
تراتيل الزمن الحزين	مجموعة قصصية	١٩٩٩	بورت برس
رتوش ملونة على بورتريه حزين	مجموعة قصصية	٢٠٠٢	المرسم
أصل الأشياء	كتاب موسوعى يبحث فى أصل الأشياء ومسمياتها	٢٠٠٦	مدين
قلوب الغرباء	رواية	٢٠٠٩	اكتب
سارق الحياة	رواية ٢٠١١	٢٠١١	مركز الحضارة العربية

obeikandl.com